قصة «الغرانيق» . . . دراسة قرآنية تفسيرية

تاريخ تسلّم البحث ٢٠٠٠/١/١٨ تاريخ قبـوله للنشر ٢٠٠١/٥/٧

*أحمد إسماعيل نوفل**

Abstract

"... when he (The Prophet) framed a desire, Satan threw some (vanity) into his desire..." verse 22/52[1]

In this paper, we are before an obscure verse which can be known from the whole religion and from those who seek the exact understanding to Holy Text, also it can be wrongly understood from those who intend confusion in the texts.

For this reason, we want to remove obscurity from verse 22/52 in which many scholars thought that its reason of revelation was what known as "Qissat al-Gharaniq".

The study has discussed the words of the verse, the accounts which were related regarding it, whether in its chain or words, we conclude that we reject this reason of revelation, and to explain the verse to be compatible with the prophet's prevention.

ملخّص

هذا بحث في قوله تعالى: ﴿ . . . إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته . . .﴾ الحج: ٥٢

وقد اخترت في هذا البحث آية -مشكلة تفسيرية-، أو قل من المتشابه الذي يمكن أن يُفهم بشكل مراد من الشرع وممن يبحثون عن الفهم السليم للنصوص الشرعية، ويمكن أن يُفهم بشكل غير مراد من الذين يقصدون التشويه أو التشويش أو ممن يفعلون هذا بسوء نية أو نقلاً بحسن نية.

من هنا كان المنطلق، وهذا هو الهدف. أن نجلّي الغيم عن وجه نص من كتاب الله، وأن نرد روايات راجت واشتهرت حتى غدت على كل لسان تقريباً. وذلك هو ما زُعم أنه سبب نزول للآية موضوع البحث: ﴿ . . . إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته . . .﴾ وما اشتهر باسم «قصة الغرانيق».

وملخص جهدي في هذا البحث أني بينت المعنى اللغوي للتمني، وهو ما لا يخرج عنه أي معنى اصطلاحي . . .

ثم بينت معنى المفردة ضمن سياقها القرآني لدى المفسرين . . . ثم ذكرت روايات سبب النزول، وبينت ما وُجِّه إليها من نقد من حيث السند والمتن، يجعلها مردودة تماماً. لنخلص في النهاية إلى المعنى المختار الذي يليق بكتاب الله وعصمة النبي ﷺ في إبلاغ وحي ربه.

* أستاذ مساعد، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

تقديم بين يدي البحث :

وضعت لنفسي خطة أن أتتبع بعض آيات حام من حول تفسيرها مشكلات ... حتى غدت من المتشابهات ، بما صنع الناس ، لا بما هو من طبيعة الآيات ... لنردها في النهاية إلى المحكمات لتغدو في العقول محكمات ... وهي في واقع الأمر كذلك .

والعجب كيف يدس أعداء ديننا من زنادقة وهراطقة ويهود وأكابر مجرمين رواية ثم تتسرب هذه الرواية إلى كتبنا وفكرنا وثقافتنا ... فلقد وجدت أن رواية الغرانيق يكاد لا يخرج عن إطارها إلاّ قليل من المفسرين ، وأما الجمهرة بما فيهم من أئمة وأسماء كبيرة فقد وقعت في الرواية ونقلتها ... وكان ينبغي أن تردها جملة وتفصيلاً ومن الأساس ...

إن التساهل في رواية هذه الروايات خرّب في تاريخنا وعبر مسيرتنا العلمية والفكرية والثقافية ما خرب . وفعل فينا أكثر مما فعلت جيوش غازية ... وقوات حربية ... وكان ينبغي التعامل بصرامة منهجية حازمة مع هذه الترهات والخزعبلات «والإلقاءات الشيطانية» ... من الأحاديث المكذوبة المرذولة المصنوعة الموضوعة .

وقد حاولت أن أستقصي بحيث أقف على كثير إن لم يكن جل أو كل ما كُتب ، جهدي وطاقتي ، حتى لا يفوتني شيء ذو بال . وصنفت الأقوال ، ثم رددت على ما رأيت أنه لا يليق بعصمة النبوة في تبليغ آيات الله ...

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث سوى المقدمة والخلاصة ... وقد جعلت المبحث الأول في المعنى اللغوي لمادة الكلمة الرئيسة في سياق هذا الموضوع وهي «تمنى» ... وبينت -بالاستناد إلى المادة- الصعوبات التي يواجهها الباحث في المعنى اللغوي . ويظل المدخل اللغوي -على كل الأحوال ومطلقها- هو المدخل الطبيعي لهذا البحث وغيره ...

ثم بينت الخطوة التالية أو المبحث الثاني معنى «تمنى» عند المفسرين ... ، والروايات في سبب النزول ...

وفي المبحث الثالث بينت المعنى المختار عندي في ضوء السياق ، وفي ضوء الاستقراء للمفردة أو اللفظة القرآنية في القرآن الكريم ... ونَفَر من المفسرين لم يخرجوا -فيما أرى- عن ما يليق بتفسير الآية ، ولم يقعوا في شراك الإسرائيليات . ولخصت في نقاط وأسطر معدودات نتائج البحث .

والله نسأل التسديد والتوفيق والصواب في العلم والقول والعمل ، وأن يجعلنا من الذين يفهمون كتابه على أحسن أوجه ، يليق بكتاب الله ، وأن يجندنا لخدمة قرآنه ، والذب عن كتابه ، وصد عادية من يعتدون هذا الحمى الأقدس ، بالحجة والبينة والبرهان الساطع الناصع .

فإن كان ثمة توفيق فهو فضل الله ، لا غير ، وإن كان من قصور أو خطأ ، أو فوادح ، فهو قلة الجهد وضَعف المَلَكة ، وقلة الزاد ، ونقص الحصيلة ، وقصور الدربة ، وجهل الدروب ، وكلال الذهن ، وعي البيان ، وتسلط الشيطان ... ولا ملوم إلاّ النفس وما عراها من نقص . وليُضرب بآرائنا إن حادت عن الجادة عرض الحائط ...

وأرجو أن يلحظ القاريء أني كنت أختصر في الروايات وأترك نقطاً تدل على النقص الذي أختزل أو أختصر ، حرصاً على عدم التكرار وعدم الإطالة .

والله المستعان وعليه التكلان ، وإليه يرد الأمر كله ، والحمد لله في البدء والختام .

المبحث الأول

المعنى اللغوي : أو معنى «تمنى» في اللغة :

هذه نظرة إلى عدد من معاجم اللغة العربية ، توضح معاني هذه الكلمة ، ثم نرى منها المناسب لسياق النص القرآني ، لأنه ليس كل ما صح لغة يتناسب مع السياق (في هذا الموطن بالذات) . والأمر أبين من أن يحتاج إلى بيان .

١- جاء في لسان العرب :

قال ابن الأثير : التمني : تشهي حصول الأمر المرغوب فيه .

قال الجوهري : تقول تمنيت الشيء ومنيت غيري تمنية ، وتمنى الشيء أراده . ومناه إياه وبه وهي المِنية (بالكسر) ، والمُنية (بالضم) ، والأمنية .

فلا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأماني والأحلام تضليل»[٢]

قال في معجم ألفاظ القرآن : «مناه الشيء ومنّاه به : ألقى في قلبه وقوعه ، وقرب إليه نيله ، حتى حدثته نفسه به ، ويكون ذلك فيما يحب ويشتهى . ويغلب في الشهوات الباطلة . ويقال : مناه : جعله يحسب ما يشتهيه قريباً» . «تمنى الشيء المحبوب : رغب في أن يناله وحدث به نفسه بوقوعه . وقال في معنى الآية : تمنى الرسول نشر دعوته والشيطان يلقي الشبهات في قلوب المدعوين ويحاول ألاّ تتم أمنية الرسول» . «والأمنية : ما يرغب فيه المرء ويتشهاه وأكثر ما يكون ذلك في الآمال الباطلة كطول البقاء وعدم البعث . وأماني اليهود وأهل الكتاب أنهم لا يُعذبون ولا يُحاسبون» . أ .هـ .[٣]

قال في المنار : «تمنى الشيء أحب أن يكون له ، وإن لم يتخذ أسبابه ، كما يتمنى المقامر الثروة وهي ليست سبباً طبيعياً للغنى ، بل ليست من الكسب المعتاد . . .»[٤]

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب -رحمه الله- : «والتمني في اللغة معروف ، وهو طلب النفس لرغيبة من الرغائب المحبوبة ، البعيدة من أن تنال ، بعداً يكاد يبلغ الاستحالة .

وقد فرق علماء النحو والبلاغة بين الترجي ، والتمني ، كما فرقوا بين حرفي الطلب : ليت ولعل . . . فقالوا : إن ليت للتمني ، وهو طلب محبوب لا يدرك ، ولعل للترجي ، وهو طلب مرغوب يمكن إدراكه والحصول عليه ، وإن كان بعيداً .[٥]

قال ابن عاشور : «التمني كلمة مشهورة ، وحقيقتها طلب الشيء العسير حصوله ، والأمنية هي الشيء المتمنى .»[٦]

٢- «والتمني : الكذب . وفلان يتمنى الأحاديث : أي يفتعلها ، وهو مقلوب من

الميْن وهو الكذب ، وفي حديث عثمان رضي الله عنه : «ما تغنيت ولا تمنيت ، ولا شربت خمراً في جاهلية ولا إسلام» ، وفي رواية : «ما تمنيت منذ أسلمت» ، أي ما كذبت . ويقال للأحاديث التي تُتمنى ، الأماني ، وفي قصيدة كعب :

فلا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأماني والأحـــلام تضليل

وتمنى : كذب ، ووضع حديثاً لا أصل له ، وتمنى الحديث : اخترعه .

وقال الراغب : «التمني : تقدير شيء في النفس وتصويره فيها ، وذلك قد يكون عن تخمين وظن ، ويكون عن روية وبناء على أصل ، لكن لّما كان أكثره عن تخمين صار الكذب له أملك ، فأكثر التمني : تصور ما لا حقيقة له ، قال : «أم للإنسان ما تمنى» ، «فتمنوا الموت» ، «ولا يتمنونه أبداً» .

ولّما كان الكذب تصور ما لا حقيقة له وإيراده باللفظ صار التمني كالمبدأ للكذب ، فصح أن يعبر عن الكذب بالتمني . إلاّ أمانيّ : قال مجاهد إلاّ كذباً . وقال غيره : إلاّ تلاوة . . .[٧]

قال في القاموس : وتمنى : كذب . والحديث : اخترعه وافتعله»[٨]

٣- ومن معاني منى وتمنى : قدر :

قال في اللسان : قال أبو بكر : تمنيت الشيء : أي قدرته ، وأحببت أن يصير إلي من المنى وهو القدر .[٩]

وقال في المصباح المنير : «وتمنيت كذا : قيل مأخوذ من المنى وهو القدر لأن صاحبه يقدر حصوله ، والاسم المنية والمَنِية (بفتح وكسر) وجمع الأولى مُنى وجمع الثانية الأماني» .

وقال الزمخشري في الأساس تحت مادة «منى» : «منى الله لك الخير . وأورد عليه : أنا راضٍ بمنى الله . أي بقدره . ومنه : ساقه المنى إلى درك المنى . وتمنى على الله أمنية وأمانيّ ومنية ومنى» .

قال في المنار: والمعنى الأصلي لهذه المادة (منى، تمنى): التقدير. وأقول (المنار): الأجدر بهذا أن يكون هو الأصل على المذهب المعروف في كون الأشياء الجامدة والمدركة بالحواس هي أصل للأشياء المعنوية. والتمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها وقد يكون عن تخمين وظن...»

٤- وقيل من معاني تمنى: تلا، وقرأ:

وأورد الزمخشري في هذا قول الحسن البصري رحمه الله: «ليس الإيمان بالتمني ولا بالترجي، ولكن ما وقر في القلب، وصدقته الأعمال، قالوا -أي تعقيباً على قول الحسن-: هو من تمنى إذا قرأ، وأنشدوا لمن رثى عثمان:

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

أي ليس الإيمان بالقول الذي تظهره بلسانك فقط، ولكن يجب أن تتبعه معرفة القلب».

قال في معجم المقاييس: «وقولنا: تمنى الكتاب: قرأه. قال تعالى: ﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته...﴾ أي إذا قرأ». ثم وجه ابن فارس لماذا كانت تمنى بمعنى تلا فقال: «لأن القراءة تقدير، ووضع كل آية موضعها».

قال في اللسان: «وتمنى الكتاب: قرأه وكتبه». واستشهد بالآية، واستشهد بالبيت السابق.

ثم قال: «والتمني: التلاوة. وتمنى: إذا تلا القرآن. وقال آخر:

تمنى كتاب الله آخر ليله تمني داود الزبور على رسل

أي تلا كتاب الله مترسلاً فيه كما تلا داود الزبور مترسلاً فيه».

ثم وجه المعنى على هذا الوجه، فقال: «قال أبو منصور: والتلاوة سميت أمنية لأن تالي القرآن إذا مر بآية رحمة تمناها، وإذا مر بآية عذاب تمنى أن يوقاه. وفي التنزيل: «ومنهم أمّيّون لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيّ». قال أبو اسحق: الكتاب إلا

تلاوة» .[١٠]

قال ابن عاشور رحمه الله في تفسيره التحرير والتنوير معلقاً على تفسير تمنى بمعنى تلا وقرأ : «وقد فسر كثير من المفسرين كلمة تمنى بمعنى قرأ ، وتبعهم أصحاب اللغة ، وذكروا بيتاً نسبوه إلى حسان بن ثابت ، وذكروا قصة بروايات ضعيفة سنذكرها» .

وأياً ما كان ، فالقول فيه ، هو ، والقول في تفسير التمني بالمعنى المشهور ، سواء ، أي : إذا قرأ على الناس ما أنزل إليه ليهتدوا به ، ألقى الشيطان في أمنيته ، أي في قراءته ، أي وسوس لهم في نفوسهم ما يناقضه وينافيه ، بوسوسته للناس التكذيب والإعراض عن التدبر ، فشبه تسويل الشيطان بوسوسته للكافرين عدم امتثال النبي بإلقاء شيء في شيء لخلطه وإفساده .

قال ابن عاشور : «وعندي في صحة إطلاق لفظ الأمنية على القراءة شك عظيم ، فإنه وإن كان قد ورد تمنى بمعنى قرأ في بيت نُسب إلى حسان ، إن صحت رواية البيت عن حسان ، على اختلاف في مصراعه الأخير ... فلا أظن أن القراءة يقال لها أمنية»[١١] .

ثم ذكر المعنى الذي يليق بالآية ، ونذكره في حينه ومحله إن شاء الله .

ثم قال بعد صفحات في ختام تفسيره للآية : «وقد سرى هذا التعسف إلى إثبات معنى في اللغة فزعموا أن تمنى بمعنى قرأ ، والأمنية القراءة ، وهو ادعاء لا يوثق به ولا يوجد له شاهد صريح في كلام العرب ، وأنشدوا بيتاً لحسان ، وهو محتمل أن معناه تمنى أن يقرأ القرآن في أول الليل على عادته فلم يتمكن من ذلك بتشغيب أهل الحصار عليه ، وقتلوه آخر الليل . ولهذا جعله تمنياً لأنه أحب ذلك فلم يستطع . وربما أنشدوه برواية أخرى فظن أنه شاهد آخر . وربما توهموا الرواية الثانية بيتاً آخر . ولم يذكر الزمخشري هذا المعنى في الأساس»[١٢] .

وبعد تحرير هذه المعاني اللغوية التي منها ما يناسب السياق القرآني ومنها ما لا يناسب ، ومنها ما هو في أصل الوضع اللغوي ، ومنها ما هو انعكاس من التفاسير إلى

القواميس ، أقول بعد هذا ، ننتقل إلى معنى «التمني» عند المفسرين ، فإلى المبحث الثاني ، والله المستعان .

المبحث الثاني

معنى تمنى عند المفسرين :

فسر أغلب المفسرين «تمنى» في الآية على معنى : تلا ، وقرأ ، وحدث نفسه ، وربطوا ذلك بسبب النزول المنقول عن الروايات والمشير إلى تلاوته ﷺ لسورة النجم . . . ، إلى آخر القصة المعروفة ، والتي سنذكرها في حينه في سبب النزول ، على خلاف بينهم في تأويل القصة وهؤلاء فريقان : فريق يرى أن النبي هو الذي قرأ -الآيات الشيطانية- ، وفريق يرى أن الشيطان هو الذي قرأ وحاكى صوت النبي ﷺ .

* وممن قال بهذا واقتصر عليه :

الطبري فقد روى هذا في تفسيره واقتصر عليه : «تمنى يعني بالتمني : التلاوة والقراءة . وقال ابن عباس : تمنى : تحدث . ألقى الشيطان في أمنيته : في حديثه . ولم يفته بالطبع أن يروي سبب النزول المعروف . قال ابن جرير بعد ما ذكر عن الضحاك أن معنى تمنى : التلاوة والقراءة : «وهذا القول أشبه بتأويل الكلام بدلالة «فينسخ الله . . .» على ذلك ، لأن الآيات التي أخبر جل ثناؤه أنه يحكمها لا شك أنها آيات تنزيله ، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان ، هو ما أخبر الله أنه نسخ ذلك منه وأبطله ، ثم أحكمه بنسخ ذلك منه ، فتأويل الكلام إذاً : وما أرسلنا من رسول إلا إذا تمنى أي تلا كتاب الله وقرأه ، أو حدث وتكلم ، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه ، أو في حديثه الذي حدث وتكلم ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، أي فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله .» أ .هـ[١٣]

وعبد الجبار الإمام المعتزلي كذلك فسرها بالقراءة[١٤] .

والقرطبي في جامعه[١٥] .

والنسفي اقتصر على هذا : قال : «أمنيته : تلاوته» . ثم ذكر سبب النزول : «ورد

أن يكون الرسول هو الذي قرأ بنفسه «الإضافة» التي يتكلمون عنها ، ولكن ارتضى أن يكون ذاك من الشيطان ، استغل سكتة من رسول الله فأدخل تلك الإضافة . . .» ولم يفته أن يعلل ويعلق بأنه : «كان الشيطان يتكلم في زمن النبي ويسمع كلامه» واستشهد بيوم بدر . . .الخ[١٦] . ولا ندري لِمَ سكت الشيطان الآن . . . أوَ لم يكن الأحرى أن يخرس في زمن تبلج الحق ، وينعتق وينطلق في زمن انتفاش الباطل . . .؟!

والسمرقندي في بحر العلوم نحا هذا النحو[١٧] .

ويفسر الآلوسي في روح المعاني التمني بالقراءة ويقتصر عليه ، ولكنه ينحو منحى مختلفاً في تفسير إلقاء الشيطان ، يقول : «وما أرسلنا من قبلك رسولاً ولا نبياً إلاّ وهاله أنه إذا قرأ شيئاً من الآيات ألقى الشيطان الشبه والتخيلات فيما يقرؤه على أوليائه ليجادلوه بالباطل ، ويردوا ما جاء به كما قال تعالى : ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ ، ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾[١٨] .

ويذكر ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير قولين في الآية ، يرجعان في النهاية إلى التلاوة فعددته من أصحاب هذا القول ، قال : «وفي معنى تمنى قولان : أحدهما تلا ، قاله الأكثرون[١٩] .

قال الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان في فصل الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن بعد أن عدد وجوهاً : «ومنها أن الله سبحانه أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي ، إلاّ إذا تمنى ، . . . قال : والسلف كلهم على أن المعنى : إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان في تلاوته ، ثم قال : فإذا كان هذا فعله مع الرسل عليهم السلام ، فكيف بغيرهم؟[٢٠] .

البقاعي في نظم الدرر يقول قولاً قريباً من هذا[٢١] .

الشوكاني رحمه الله في تفسيره فتح القدير باستثناء كلمة قصيرة في معنى تمنى لغة حيث قال : «تشهى وهيأ في نفسه ما يهواه» ، فإنه اقتصر على أن تمنى بمعنى تلا[٢٢] .

وإسماعيل حقي البروسوي في تفسيره : روح البيان[٢٣] .

ثم رد حقي البروسوي اعتراضات من يعترضون على هذا القول بقوله : إن الله تعالى يفعل ما يشاء ليميز الناس ، ثم فَصَل الأمر فقال : فالنسخ والإحكام والإيقاف على حقيقة الأمر -ولو بعد حين!!-يجلي كل مشتبه» . ولن نرد عليه الآن .

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٢٤] .

والطباطبائي أعاد القول نفسه : «ألقى الشيطان شبهاً مضلة على الناس بالوسوسة ليجادلوه بها ويفسدوا على المؤمنين إيمانهم . . .»[٢٥] .

والشيخ المراغي يرى تفسير التمني بالتلاوة[٢٦] .

والشيخ حسنين مخلوف رحمة الله عليه في صفوة البيان اقتصر على هذا القول[٢٧] .

وكذلك دروزة في التفسير الحديث[٢٨] .

قال الشيخ الألباني : «إن هذه القصة قد ذكرها المفسرون عند قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا . . .﴾ وقد اختلفوا في تفسير قوله تعالى : ﴿تمنى﴾ و ﴿أمنيته﴾ وأحسن ما قيل في ذلك أن «تمنى» من «الأمنية» وهي التلاوة ، كما قال الشاعر في عثمان . . . وعليه جمهور المفسرين والمحققين ، وحكاه ابن كثير عن أكثر المفسرين ، بل عزاه ابن القيم إلى السلف قاطبة فقال في إغاثة اللهفان : «والسلف كلهم على أن المعنى إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته»[٢٩] وبيّنه القرطبي ، فقال في تفسيره . . .» ، وذكر الشيخ أقواله . ونقل قول القرطبي : «وإليه أشار ابن العربي . هذا الذي ذكرناه من المعنى في تفسير الآية ، هو اختيار الإمام ابن جرير . حيث قال بعد ما رواه عن جماعة من السلف : «وهذا القول أشبه بتأويل الكلام بدلالة قوله : «فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، ثم يحكم الله آياته» على ذلك ، لأن الآيات التي أخبر الله أنه يحكمها لا شك أنها آيات تنزيله ، فمعلوم بذلك أن الذي ألقى فيه الشيطان ، هو ما أخبر الله ، أنه نسخ

ذلك منه وأبطله ، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه ، فتأويل المعنى . . .» . ثم علق الشيخ الألباني على كل ذلك فقال : «هذا هو المعنى المراد من هذه الآية الكريمة ، وهي كما ترى ليس فيها إلاّ أن الشيطان يلقي عند تلاوة النبي ما يفتتن به الذين في قلوبهم مرض ، لكن أعداء الدين الذين قعدوا له في الطريق ، وترصدوا له عند كل مرصد ، لا يرضيهم إلاّ أن يدسوا فيه ما ليس منه ، ولم يقله رسوله ، فذكروا ما ستراه في الروايات الآتية ، مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة ، وذلك ديدنهم منذ القديم . . .» وذكر قصص الأنبياء ثم قال : «فحذار أيها المسلم أن تغتر بشيء منها فتكون من الهالكين . . .»[٣٠]

والذي أراه أن قبول القول بأن الشيطان ألقى في التلاوة هو التربة الخصبة التي بذر فيها المغرضون الذين يحذرنا الشيخ منهم ، بذورهم ، فأنبتت هذا النبت الشيطاني ، والأصل رد الأمر من الأصل .[٣١]

وأبو بكر الجزائري في أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير[٣٢] .

والشيخ وهبة الزحيلي في تفسيره المنير اقتصر على هذا[٣٣] .

وهناك من ذكر هذا القول ضمن أقوال أخرى ، ولكنه رجحه على غيره ، واختاره على سواه وممن فعل هذا :

الزمخشري : ولعل أعجب موقف في تفسير هذه الآية هو موقفه ، فهو صاحب المنهج العقلي الصارم المعروف ، ومع هذا وجدته رجح هذا القول ، وإن كان ذكره كأنه قولان دون ترجيح ، وإليك البيان من خلال نصه : «فبعد أن ذكر سبب النزول المعروف وأن النبي لما رأى إعراض قومه تمنى «لفرط ضجره!» «وتهالكه على إسلامهم!» أن لا ينزل عليه ما ينفرهم ، فاستمر ما تمناه حتى نزلت النجم ، فلما بلغ «ومناة . . .» ألقى الشيطان : أي وسوس فسبق لسانه على سبيل السهو» ، وذكر الزمخشري الغرانيق ، ولم يفته أنها رويت الغرانقة! ثم علل بأن تمكين الشيطان ابتلاء ، والله يبتلي بما يشاء . . . ثم قال : «والمعنى : إن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك ، إذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في أمانيهم . . .» ثم علل بالابتلاء من جديد . ثم

قال : «وقيل : تمنى قرأ . وأنشد . . . الخ . وأمنيته : قراءته .»[٣٤]

● الخازن والبغوي[٣٥] .

● وابن كثير قريب ما فيه مما في البغوي والخازن . بل هو يعيد النقل عن البغوي بالنص والاسم أكثر من مرة . وذكر قول ابن جرير .[٣٦]

● والنيسابوري صاحب «الغرائب والرغائب»[٣٧] .

● وقريب من هذا ما صنع الطبرسي في مجمعه[٣٨] .

● وقد وجدت القاسمي رحمه الله ينقل عن ابن تيمية رحمه الله موقفاً كالذي ذكرناه حيث قال : «وقال تقي الدين بن تيمية : في الآية قولان ، المأثور عن السلف موافق القرآن بذلك . والذين منعوا ذلك من المتأخرين طعنوا فيما ينقل من الزيادة في سورة النجم . وقالوا : إن هذا لم يثبت . ومن علم أنه ثبت قال : هذا ألقاه الشيطان في مسامعهم ولم يلفظ به الرسول ﷺ »[٣٩] .

● وقد قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان : «فيه للعلماء وجهان من التفسير معروفان : الأول : أن تمنى بمعنى : قرأ وتلا . ومنه قول حسان . . . وقول الآخر . . . فمعنى تمنى في البيتين : قرأ وتلا . وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أنه قال : إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته : إذا حدّث ألقى الشيطان في حديثه . وكون تمنى بمعنى تلا هو قول أكثر المفسرين . القول الثاني : أن تمنى في الآية من التمني المعروف ، وهو تمنيه إسلام أمته ، وطاعتهم لله ولرسوله ، ومفعول ألقى محذوف ، فعلى أن تمنى : أحب إيمان أمته ، وعلّق أمله بذلك ، فمفعول ألقى يظهر أنه من جنس الوساوس ، والصد عن دين الله ، حتى لا يتم للنبي أو للرسول ما تمنى . ومعنى كون الإلقاء في أمنيته على هذا الوجه : أن الشيطان يلقي وساوسه وشبهه ليصد بها عما تمناه الرسول أو النبي ، فصار الإلقاء كأنه واقع فيها بالصد عن تمامها والحيلولة دون ذلك[٤٠] .

● وفريق جمع بين الأقوال ولم يرجح ، وكأنما وضع الآراء على قدم المساواة أمام

القارئ وترك له حرية الاختيار والترجيح ، والقبول والرفض ، كمثل التاجر يعرض البضاعة من كل الألوان والأسعار ، والمشتري هو الذي يحدد ويختار ، ومن هؤلاء المؤلفين الذين نهجوا هذا النهج :

- الطوسي في التبيان[٤١] .
- ولعل من هذا الفريق تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم[٤٢] .
- ولكن هناك من ذكر هذا القول ورده وفنده ، واختار غيره عليه ، وممن مال إلى هذا :

- وأبو حيان الذي كان رائعاً في بحره ونهره وهو يرد هذه الهرطقات والترهات جملة وتفصيلاً ، حيث قال : «هذه الآية ليس فيها إسناد شيء إلى الرسول ﷺ ، إنما تضمنت حالة من كان قبله من الرسل والأنبياء إذا تمنوا . وذكر المفسرون في كتبهم : ابن عطية والزمخشري فمن قبلهما ومن بعدهما ما لا يجوز وقوعه من آحاد المؤمنين منسوباً إلى المعصوم ، وأطالوا في ذلك ، وفي تقريره سؤالاً وجواباً» . ثم رد القصة من حيث الأسانيد . وقال في البحر والنهر بلغة رائعة وفكر خصيب نقي : «ذكر له تعالى مسلاة ثانية باعتبار من مضى من الرسل والأنبياء وهو أنهم كانوا حريصين على إيمان قومهم ، وأنه ما منهم أحد إلاّ وكان الشيطان يراغمه بتزيين الكفر لقومه وبث ذلك إليهم وإلقائه في نفوسهم كما أنه كان من أحرص الناس على هداية قومه وكان فيهم شياطين كالنضر يلقون لقومهم والموافدين عليهم شبهاً يثبطون بها عن الإسلام ، ولذلك جاء قبل هذه الآية : «والذين سعوا في آياتنا معاجزين . . .» وسعيهم بإلقاء الشبه في قلوب من استمالوه ونسب ذلك إلى الشيطان لأنه هو المقوي والمحرك شياطين الإنس للإغواء كما قال : لأغوينهم . وقيل أن الشياطين معنى جنس يراد به شياطين الإنس ، والضمير في أمنيته عائد على الشياطين ، أي في أمنيته نفسه أي بسبب أمنيته نفسه ومفعول ألقى محذوف لفهم المعنى وهو الشر والكفر ، ومخالفة ذلك الرسول أو النبي لأن الشيطان ليس يلقي الخير . فينسخ : أي يزيل تلك الشبهة شيئاً فشيئاً حتى يسلم الناس كما قال : ورأيت الناس يدخلون . . .[٤٣] .

● الإمام الفخر الرازي رحمه الله ، ولعلّه من أشد من نقد هذا القول ، ومن أطول المفسرين نفساً في هذا ، حيث نيف ما كتبه في الرد على الست أو السبع صفحات . ومما قال بعد أن ذكر سبب النزول المعروف : «هذا رواية عامة المفسرين الظاهريين ، أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة ، واحتجوا عليه -على الإبطال- بالقرآن والسنة والمعقول . . .» (سنذكره بإذن الله في محله فليس محله هنا) . ثم ختم الرازي هذه المعمعة بالقول المختار من وجهة نظره . ومن سمع قعقعة الرد من الرازي هاله أن يكون مختاره قريباً مما رده ، غير أنه للحق -رفض تمنى بمعنى تلا- فقد قال : «أرسلهم الله تعالى وإن عصمهم عن الخطأ مع العلم فلم يعصمهم من جواز السهو ووسوسة الشيطان بل حالهم في جواز ذلك كحال سائر البشر فالواجب أن لا يتبعوا إلاّ فيما يفعلونه عن علم فذلك هو المحكم» . ثم ذكر الرازي قول أبي مسلم ، ولعلنا نذكره في مكان آخر .(٤٤)

وممن رد التمني بمعنى التلاوة ، واختار رأياً مخالفاً -هو الأقرب في نظرنا- ابن عاشور رحمه الله في تحريره وتنويره ، حيث قال : «التمني كلمة مشهورة ، حقيقتها طلب الشيء العسير حصوله -وقد مر بنا هذا القول- وإنما يتمنى الأنبياء والرسل أن يكون أقوامهم كلهم صالحين ومهتدين . فإسناد التمني إلى الأنبياء دل على أنه تمني الهدى والصلاح ، وإسناد الإلقاء إلى الشيطان دل على أنه إلقاء الضلال والفساد . والتقدير : أدخل الشيطان في نفوس الأقوام ضلالات تفسد ما قاله الأنبياء والرسل من الإرشاد ومعنى إلقاء الشيطان في أمنية النبي أو الرسول هو إلقاء ما يضادها ، كمن يمكر فيلقي السم في الدسم ، فإلقاء الشيطان بوسوسته هو أن يأمر الناس بالتكذيب والعصيان ، ويلقي في قلوب أئمة الكفر مطاعن يثبتونها في نفوس أقوامهم ، ويروج الشبهات بإلقاء الشكوك التي تصرف نظر العقل عن تذكر البرهان ، والله تعالى يعيد الإرشاد ، ويكرر الهدى على لسان النبي ، ويفضح وساوس الشيطان وسوء فعله بالبيان الواضح كقوله تعالى : «يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة» ، فالله بهديه وبيانه ينسخ ما يلقي الشيطان ، أي يزيل الشبهات التي يلقيها الشيطان ببيان الله الواضح ، ويزيد آيات دعوة رسله بياناً ، وذلك هو إحكام آياته ، أي تحقيقها ، وتثبيت مدلولها ، وتوضيحها بما لا شبهة بعده إلاّ لمن

يرين على قلبه . وقد فسر كثير من المفسرين كلمة تمنى بمعنى قرأ ، وتبعهم أصحاب كتب اللغة» . -وقد نقلنا قوله قبل قليل في مبحث اللغة فلا نعيده- . ونواصل معه حيث انتهى من تفنيد هذا التفسير ، إلى احتمال وجه آخر من أوجه المعنى حيث يقول : «ويجوز أن يكون المعنى أن النبي إذا تمنى هدى قومه أو حرص على ذلك ، فلقي منهم العناد ، وتمنى حصول هداهم بكل وسيلة ، ألقى الشيطان في نفس النبي خاطر اليأس من هداهم ، عسى أن يقصر النبي عن حرصه ، أو أن يضجره وهي خواطر تلوح في النفس ، ولكن العصمة تعترضها ، فلا يلبث ذلك الخاطر أن ينقشع ويرسخ في نفس الرسول ما كُلف به من الدأب على الدعوة والحرص على الرشد . فيكون معنى الآية على هذا الوجه ملوحاً إلى قوله تعالى : ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، فلا تكونن من الجاهلين﴾[٤٥] .

● والقاسمي رحمه الله في محاسن التأويل أجاد وأطال في رد القول المشهور ، ونقتبس مما ذكر فقد أطال في رد الروايات سنداً ومتناً ، وسننقل عنه في محله إن شاء الله ثم نقل عن الإمام محمد عبده فقال : «وكتب الأستاذ الأمام مفتي مصر ، الشيخ محمد عبده رحمه الله ، في هذه مقالة بديعة ، نقتبس منها شذرات ، قال : «يعلم كل ناظر في القرآن ، ما رفع الإسلام من شأن الأنبياء والمرسلين ، والمنزلة التي أحلهم من حيث هم حملة الوحي وقدوة البشر ، وتنزيهه إياهم مما رماهم به أعداؤهم . ولا يخفى على أحد من أهل النظر ، أنه قد قرر عصمة الرسل كافة من الزلل في التبليغ . وخص خاتمهم بمزايا فصلت في الكتاب العزيز . ومع ذلك لم يعدم الباطل أعواناً . أولئك عشاق الروايات وعبدة النقل ... نظروا نظرة في قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا ...﴾ وفيما روي عن ابن عباس ، ... إلى آخر ما رواه ابن جرير ، وقد شايعه عليه كثير من المفسرين ، وفي طباع الناس إلف الغرائب ، والتهافت على العجيب ، فولعوا بهذه التفاسير ، ونسوا ما رآه جمهور المحققين في تأويلها ، وذهب إليه الأئمة في بيانها . ثم علق محمد عبده على رواية ابن عباس في البخاري ، وقال : هي هفوة من ابن حجر يغفرها الله له . ثم قال : هذا ما قاله الأئمة ، جزاهم الله خيراً ، في بيان فساد هذه القصة ، وأنها لا أصل لها ، ولا عبرة برأي من خالفهم . فلا يعتد بذكرها في بعض

كتب التفسير . وإن بلغ أربابها من الشهرة ما بلغوا . وشهرة المبطل في بطله ، لا تنفخ القوة في قوله . ولا تحمل على الأخذ برأيه . ثم قال الأستاذ رحمه الله : والآن ارجع إلى تفسير الآيات على الوجه الذي تحتملها ألفاظها وتدل عليها عباراتها ، والله أعلم : لا يخفى على كل من يفهم اللغة العربية أو قرأ شيئاً من القرآن ، أن قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا . . .﴾ يحكي قدراً قُدّر للمرسلين كافة ، لا يعدونه ، ولا يقفون دونه ، ويصف شنشنة عرفت فيهم ، وفي أممهم ، فلو صح ما قال أولئك المفسرون لكان المعنى : إن جميع الأنبياء والمرسلين قد سلط الشيطان عليهم فخلط في الوحي المنزل إليهم ، ولكنه بعد هذا الخلط ينسخ الله كلام الشيطان ويحكم الله آياته . وهذا من أقبح ما يتصور متصور في اختصاص الله لأنبيائه ، واختيارهم من خاصة أوليائه : فلنعد إلى ما نحن بصدده . ذكر الله لنبيه حالاً من أحوال الأنبياء والمرسلين قبله ، ليبين له سنته فيهم ، وذلك بعد أن قال : ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم . . .﴾ ثم قال : ﴿قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين . . .﴾ فالقصص السابق كان في تكذيب الأمم لأنبيائهم ، وأعقب ذلك بما يفيد أن ما ابتلي به النبي من المعاجزة في الآيات ، قد ابتلى به الأنبياء السابقون . فلم يبعث نبي في أمة إلا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف ، ويضادون أمانيه ، ويحولون بينه وبين ما يبتغي بما يلقون في سبيله من العثرات . . . الخ»[٤٦] . ونكتفي بهذا القدر من كلام الشيخ محمد عبده الذي نقله القاسمي وهو نفيس جداً .

● والشيخ طنطاوي جوهري رحمه الله رد هذا الذي ارتضاه كثير من المفسرين بعد أن ذكره ، وأطال في تفنيده ، ثم قال : «نور الآية الذي يشير إليه هو أن الله ما أرسل من رسول ولا بعث نبياً إلى أمة من الأمم إلاّ وذلك الرسول يتمنى الإيمان لأمته ويحبه لهم ويرغب فيه ويحرص عليه ، فيختلف الناس ، فأما من كفر فيلقي الشيطان إليه الوساوس القادحة في الرسالة الموجبة لكفره . . . فمعنى تمنى : أي تمني الإيمان لأمته والخير والرشد ، وإلقاء الشيطان ما يلقيه في قلوب أمة الدعوة من الوساوس الموجبة لكفر بعضهم ، ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم» . ثم علق الشيخ جوهري على هذا التفسير بقوله ، أو قول ينقله عن الدباغ وابن المبارك : «إن هذا التفسير من أبدع ما يسمع» ، وأخذ يورد الطرق التي فسرت بها الآية فوجدت كلها

ضعيفة أو مخالفة للعقيدة . . .[٤٧]

● قال الموصلي في معنى : إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته : «أي هيأ له في نفسه خطة لنشر الدعوة أو حكم من أحكامها راجياً أن ينجح فيها ، ويقبلها سائر الناس ، ألقى الشيطان في أمنيته ، بالوسوسة للمعارضين ، أن يبذلوا الجهد للحصول على ألوان من الخطط والدسائس الشيطانية يعارضون بها خطط الدعوة ويقاطعونها . فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يزيله من طريق نشر الدعوة ويذهب به ويبطله ، فتسير الدعوة في طريقها إلى النجاح ، حتى تتكلل بالفوز والقبول . . . ثم يحكم الله آياته أي سنته كما قال في سورة الأنبياء : ﴿بل نقذف بالحق . . .﴾[٤٨] .

● والشيخ محمد جواد مغنية من هذا الفريق ، وهذا ملخص قوله : «إن أعلى أمنية للنبي ، أي نبي ، أن يعرف الناس حقيقة رسالته ، ويدركوا أهدافها ويهتدوا بها ، لكن أرباب الأهداف والأطماع يحولون بين النبي وتحقيق أمنيته بالتمويه وبث الأكاذيب ، بكل وسيلة من وسائل الدعاية والنشر . فالنبي يتمنى الخير للناس ، والشيطان يصدهم عنه . . .»[٤٩] .

● والشيخ الخطيب رحمه الله من أشد الناس معارضة للتفسير المردود -بالنسبة لما نرى- فبعد أن بيّن معنى تمنى في اللغة واستعرض لفظ تمنى في القرآن وتحدي بني إسرائيل بتمني الموت ، قال : ذلك هو التمني على ما عرفته العرب ثم سأل : فما هي أمنية كل رسول وكل نبي؟ إن أمنية كل رسول ، ورغيبة كل نبي ، هي أن يرى قومه على الهدى الذي يدعوهم إليه ، وأن يصبحوا جميعاً في المؤمنين بالله . . . وإن إلقاء الشيطان في هذه الأمنية ، هو ما يوسوس به ، للسفهاء ليقفوا في وجه الدعوة . فهذه هي أمنية الرسول أو النبي وتلك إلقاءات الشيطان فيها . . . والشيطان ، كما أخبرنا الله سبحانه ، ليس له سلطان على الذين آمنوا ، ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ النحل :٩٩ ، فكيف بالرسل والأنبياء ، الذين عصمهم الله ، وأمدهم بكثير من أمداد عونه ، وتوفيقه ، وحياطته؟ ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ الرعد :١٧ . ثم يرى الكاتب الخطيب أن المعنى هو : «وهكذا يذهب ما يلقي الشيطان

في أمنية الرسول أو النبي هباء ، حيث يخلص النبي بأوليائه ، وهم صفوة المجتمع ، على حين يستولي الشيطان على أتباعه ، حيث هم حصب جهنم» . واستمع إلى قوله تعالى : ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته . . .﴾ وانظر إلى عاقبة هذا الصراع بين النبي وبين الشيطان وأوليائه . . .[٥٠] .

● قال شوقي ضيف متجافياً عن التأويلات الفاسدة : "تمنى لقومه الخروج من ظلمات الضلالة إلى أضواء الهداية . ألقى الشيطان في أمنيته كلمات الكفر والشرك أي فيما يوسوس به لقومه" .[٥١]

● وقال الشيخ سعيد حوى رحمه الله في الأساس : «ولعل من جملة ما جعل للقصة رواجاً هو عجز بعض المفسرين عن فهم الآيات فرأوا في القصة توجيهاً سهلاً للآيات فساروا عليه» . ثم قال : «إن إلقاء الشيطان ونفاذ أمره يحتاجان إلى مناخ ملائم ، والمناخ الملائم لإلقاء الشيطان هو مرض القلب وقسوته . . .»[٥٢]

وأختصر مبحثاً كاملاً حول الروايات ونقدها ، فأقول في سطور : أما الروايات في سبب نزول الآية فكثيرة تتلخص في اتجاهات : أن الرسول ﷺ أحزنه كفر قومه فتمنى ما يقربه منهم ، فنزلت سورة النجم فألقى الشيطان فيها ، أو في تلاوة الرسول لها ، أو هو قرأ مقلداً صوت الرسول -على حسب الروايات- تلك الغرانيق العلا . . . الخ .

وأغلب المفسرين رد أن يكون الرسول هو الذي تلا هذه الكلمات ، وإنما الشيطان هو الذي دسها وقرأها وتلاها . . . والمحققون يرون أن الرواية كلها مخترعة ملفقة مردودة سنداً ومتناً . . .

أما سنداً فإن عياضاً قال : هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل . وكذا قال البزار والنحاس وابن حزم وابن كثير والقرطبي والشوكاني والشنقيطي وجوهري والطبرسي والبيضاوي و . . . الخ .

ومتناً فهذا محال ، وكما قال الشنقيطي : «في الآية قرينة تدل على بطلان ذلك القول ، لأن النبي قرأ بعد القول المزعوم : إن هي إلاّ أسماء سميتموها . . .» . وقريب

من ذلك قال ابن العربي والخازن وطنطاوي جوهري والألباني[٥٣] .

المبحث الثالث

القول المختار في تفسير الآية في ضوء السياق والاستقراء

أهمية السياق وأهمية الاستقراء :

تكلمت بنت الشاطئ في كتابها الإعجاز البياني ، في مقدمته عن ضابط من ضوابط التفسير وهو الاستقراء ، إذ قالت تُعرف بمنهجها ومنهج الخولي ، هذا «المنهج الدقيق الصارم» ، على حد وصفها : «المنهج الذي لا يجيز لنا أن نفسر كلمة من كلمات الله دون استقراء كامل لمواضع ورودها بمختلف صيغها في الكتاب المحكم ، ولا أن نتناول موضوعاً قرآنياً أو ظاهرة من ظواهره الأسلوبية ، دون استيعاب لنظائرها ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة ، وسياقها العام في القرآن كله» .[٥٤]

وإنّا تفريعاً على هذا التأصيل نقول ، إنّا سنستعرض مادة «أمنية ، وتمنى ، وأماني» في القرآن الكريم ، ولندع الاستقراء ، والنصوص الكريمة تتحدث بنفسها : «تمنى» بهذه الصيغة : وردت في القرآن مرتين لا غير . في الحج آية ٥٢ سورة ٢٢ جزء ١٧ ، وفي النجم آية ٢٤ سورة ٥٣ جزء ٢٧ .

والآن إلى استقراء كامل لهذه المادة في القرآن :

«تمنى» وما يتصل بها في القرآن الكريم :[٥٥]

وردت هذه المادة في الآيات التالية :

﴿ولأضلّنّهم ولأمنّينّهم ولآمرنّهم فليبتكنّ آذان الأنعام ...﴾ النساء : ١١٩ .

﴿يعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً ...﴾ النساء : ١٢ .

﴿وما أرسلنا ... إلاّ إذا تمنى ...﴾ الحج : ٥٢ .

﴿أم للإنسان ما تمنى ...﴾ النجم : ٢٤ .

﴿وأصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون ...﴾ القصص ٨٢ .

﴿ولقد كنتم تمنون الموت ...﴾ آل عمران : ١٢٣ .

﴿ولا تتمنّوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ...﴾ النساء : ٣٢ .

﴿ولا يتمنّونه أبداً بما قدمت أيديهم ...﴾ الجمعة : ٧ .

﴿ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم ...﴾ البقرة : ٩٥ .

﴿ ... فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ البقرة : ٩٤ .

﴿فتمنوا الموت ...﴾ الجمعة : ٦ .

﴿إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ...﴾ الحج : ٥٢ .

﴿ومنهم أميّون لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيّ ...﴾ البقرة : ٧٨ .

﴿ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب ...﴾ النساء : ١٢٣ .

﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلاّ من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيّهم ...﴾ البقرة : ١١١ .

دلالات الاستقراء :

أما دلالات الاستقراء فهي -في رأينا المتواضع- كما يلي :

١- وردت هذه المادة في «١٦» ست عشرة مرة في «٧» سبع سور .

٢- وردت أمانيّ (مرتين) وأمانيّكم (مرة) وأمانيهم (مرة) ، وكلها تدور بين البقرة والنساء .

٣- تمنى في كل المواطن -فيما أرى- لا تحتمل إلاّ معنى الطلب النفسي والترجي والأحلام ...وسنذكر تفسيرها بإيجاز فيما يلي عن المنار لشيخ مفسري القرن.

٤- كل السور مدنية ، باستثناء ثلاث ، وهذا يعني ٣ :١٣[٥٦] . وهذا ، فيما أرى كذلك ، شيء طبيعي ، أولاً لأن مواجهة اليهود ، وهم أصحاب زعم أنهم شعب الله المختار ، وتمنيهم الأمانيّ بدخول الجنة ، وحجابهم عن النار ، بزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وتلك هي الأمانيّ التي غرقوا فيها ، فخدعتهم عن حقائق الأشياء ، واستطالوا بهذه الأمانيّ على الناس بل إن دينهم أصبح أمانيّ : « . . لا يعلمون الكتاب إلاّ أماني» ، «تلك أمانيهم . . .» .

٥- ورد التمني في حق أهل الكتاب ٧ سبع مرات ، وفي حق إبليس مرتين : «ولأمنّينّهم» ، «يعدهم ويمنّيهم» .

٦- «تمنى» ، بهذه الصبغة وعلى هذا النحو المفرد لم ترد إلاّ في سورتي الحج والنجم ، وهما السورتان اللتان يربط المفسرون أو بعضهم بينهما بزعم القصة المختلقة.

٧- وردت هذه المادة في البقرة (٤) مرات ، وفي النساء (٥) مرات وهي أكثر سورة ورد فيها التمني على الإطلاق والحج والجمعة (مرتان) لكلٍ ، وآل عمران مرة واحدة ، وكل السور حتى الآن مدنية . والنجم والقصص مرة لكلٍ ، وهما مكيتان بالقطع.

٨- يقابل الأمانيّ في المصطلح القرآني البرهان . فالأمانيّ طلب نفسي ، والبرهان عمل عقلي ، «تلك أمانيّهم قل هاتوا برهانكم . . .» البقرة : ١١١ .

والآيات فيما أرى مفسرة نفسها متجلية وضوحاً لا تحتاج إلى مزيد . وأنها جميعاً في نطاق التمني والأمانيّ بالمعنى المشهور والمتبادر والمتداول . ومع هذا سنقف وقفة مستعجلة مع بعض لفتات المنار في معاني الآيات التي فسرها المنار قبل أن يدرك المنون صاحبه :

عند قوله تعالى : ﴿ومنهم أمّيّون لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيّ﴾ آية ٧٨ البقرة ، قال صاحب المنار رحمه الله : « . . . وما عندهم من الدين فهو أمانيّ يتمنونها ، وتجول صورها في خيالاتهم ، وهذه الصور هي كل ما عندهم من العلم بدينهم ، وما هم على بينة منها وإنما هي ظنون يلهون بها . . .»[٥٧] .

وعند قوله تعالى: ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ آية ٩٥ البقرة، قال: «التمني هو ارتياح النفس وتشوفها إلى الشيء توده وتحب المصير إليه. وروي عن ابن عباس تفسير التمني بالسؤال والطلب، وهو غير معروف عن غيره من العرب. ولعله فسره باللازم، فإن من تمنى شيئاً طلبه بالقول أو بالفعل أو بكليهما...»[٥٨].

وعند قوله تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلاّ من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم...﴾ آية ١١١ البقرة، قال: «والأمانيّ جمع أمنية وهي ما يتمناه المرء ولا يدركه، وهذا القول ناطق بأمنية واحدة ولكنها تتضمن أمانيّ متعددة وهي لوازم لها... ولهذا ذكر الأماني بالجمع ولم يقل تلك أمنيتهم...»[٥٩].

وعند قوله سبحانه: ﴿... ولأضلنّهم ولأمنّينّهم...﴾، ﴿يعدهم ويمنّيهم...﴾ آية ١١٩-١٢٠ النساء، قال: «قال الأستاذ الأمام: «إن إضلاله لمن يضلهم هو عبارة عن صرفهم عن العقائد الصحيحة بمعنى أنه يشغلهم عن الدلائل الموصلة إلى الحق والهدى. وأما التمنية فهي في الأعمال بأن يزين لهم الاستعجال باللّذات الحاضرة والتسويف بالتوبة وبالعمل الصالح. بل هذا اسم جامع لأنواع وحي الشيطان كلها وتغريره للناس بعفو الله ورحمته ومغفرته». ثم قال في المنار عند الآية الثانية: «ويؤيد وعوده الباطلة بالأماني الباطلة... ولهذا أعاد ذكر الأمنية في مقام خسران من يتخذ الشيطان ولياً... ويدخل في وعد الشيطان وتمنيته ما يكون من أوليائه من الأنس وهم قرناء السوء الذين يزينون للناس الضلال والمعاصي ويعدونهم بالمال والجاه ويمدونهم في الطغيان»[٦٠].

وأما عند قوله تعالى: ﴿ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض...﴾ النساء: ٣٢، فقد قال -بإيجاز-: «معنى الآية ظاهر، وهو أن الله كلف كلاً من الرجال والنساء أعمالاً... وليس لأحدهم أن يتمنى ما هو مختص بالآخر. وجعل الخطاب عاماً للفريقين مع أن الرجال لم يتمنوا أن يكونوا نساءً، ولا أن يعملوا عملهن، وإنما كان النساء هن اللواتي تمنين عمل الرجال، وأي عمل الرجال تمنين؟ الدفاع عن الحق بالقوة. ففي هذا التعبير تلطف بالنساء لإخلاصهن فيما تمنين، وسببه أن الأمة في عنفوانها يكون النساء والأطفال مشتركين مع الرجال... الخ»[٦١].

والآن إلى نظرات بعض المفسرين وتفاسيرهم، ثم نعود لنصطفي بعد أن نستصفي ما نشاء. ونبتديء بالمرحوم عبد الكريم الخطيب. الذي يبتديء تفسير الآيات من الآية ٤٩ ﴿قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ...﴾ ٤٩-٥٠، يفسر الأستاذ عبد الكريم الخطيب قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا ...﴾ ضمن السياق الذي ورد فيه من الآيات، فيجعل الآيات من ٤٩-٥٩ مجموعة واحدة يفسرها مترابطة متلاحمة ترابطاً عضوياً وثيقاً ... فيقول: ﴿قل يا أيها الناس ...﴾ هو توكيد لهذا الإنذار، الذي أنذر به المشركون من وقوع العذاب بهم، إذا هم لم يستجيبوا لله وللرسول ... فهو إنذار عام للناس جميعاً، ولكنه في حقيقته إنذار خاص لكل ضالٍّ غويٍّ، ثم هو إنذار في مواجهة هؤلاء المشركين، يصرخ في وجوههم، ويصك أسماعهم ... وإنه لإنذار مبين واضح، بما معه من الأدلة القاطعة، والآيات المعجزة الناطقة ... ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات ...﴾ الفاء هنا للتفريع المسبب عن هذا الإنذار الذي جاء به النذير المبين ... إذ الناس مع هذا الإنذار بين ملتفت إليه، مستفيد منه، آخذ طريق النجاة، وبين ذاهل عنه، أو مستخفٌ به، أو مكذب له ... فأما الذين استمعوا لهذا النذير، وآمنوا بالله، وعملوا الصالحات، فقد ركبوا طريق النجاة، ولهم من الله مغفرة ورزق كريم. ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين ...﴾ أي وأما هؤلاء الذين لم يستمعوا لهذا النذير المبين، ولم يستضيئوا بالنور الذي معه، بل تصدوا لهذا النور، وأرادوا أن يطفئوه بأفواههم، وبما يخرج منها من أكاذيب وأضاليل، هؤلاء هم أصحاب الجحيم ... وفي قوله ﴿سعوا ... معاجزين﴾ إشارة إلى سعي هؤلاء المشركين، وأنه سعيٌ للباطل والضلال، حيث يسعون لإعجاز آيات الله، وغلبتها وصرفها عن طريقها ...وفي تعدية الفعل بحرف الجر «في» الذي يفيد الظرفية، إشارة إلى أنهم يدخلون في آيات الله، ويلبسون الحق بالباطل، إذ يحرفون الكلم عن مواضعه، ويلقون فيه بالهذر من القول، والسخف من الكلام، كما حكى القرآن ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ...﴾ فصلت: ٢٦. وأريد أن تلتفت التفاتة خاصة إلى قوله تعالى: «معاجزين» وأن تقف طويلاً عندها، فإن لها شأناً في تلك القصة العجيبة المثيرة، التي نسج خيوطها المفسرون والقصاص، من واردات الخيال والأوهام، فكان منها تلك الخرافة

المعروفة بالغرانقة العلا التي كثرت فيها الأقوال ، وتضاربت حولها الآراء ، حتى كادت تدخل مدخل الواقع ، وتلبس ثوب الحقيقة ، لدورانها على الألسنة ، وتقليب وجوه الرأي فيها ، وهي كائن ميت ، كان من الواجب أن يوارى من أول يومه ، ويدفن في التراب ، وألاّ ينبش بين الحين والحين . وقد كنا نريد أن لا ننبش هذا الجسد المتعفن ، وألاّ نثير منه تلك الروائح الخبيثة التي تضيق منها صدور المؤمنين ، لولا أننا نخشى أن يكون لبعض المؤمنين نظر فيها أو وقوف أو توقف عندها ، وهم يقرأونها في التفسير ، ويجدونها في ثنايا كتب السيرة النبوية العطرة ... فيثير ذلك في نفوسهم قلقاً واضطراباً ، ويحرك في صدورهم وساوس وظنوناً . ولهذا لم نر بداً من الوقوف عند هذه القصة ، والكشف عن زيفها وباطلها . ولكن قبل الدخول في هذا البحث ، أعود فأذكرك بالنظر إلى قوله تعالى : ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين ...﴾ وإلى أن هذه الآية موجهة إلى المشركين ، وإلى عبثهم بآيات الله ، وإلى مغالبتها ومعاجزتها باللغو فيها . فالمشركون متهمون بهذه الجريمة ، وهي الدخول إلى آيات الله ، بما يغير وجهها ، ويبدل صورتها ، ويعطيهم الحجة عليها ، بعد أن كانت لها الحجة عليهم ...

إذا عرفنا هذا ، وسلمنا به -وهو واضح لا يحتاج إلى من يدل عليه ، وهو أمر مسلم به ، لا يجوز الخلاف فيه- كان ذلك هو مقطع القول في هذه القضية ، وكلمة الفصل فيها ... وكانت كل الدعاوى التي تدعى لها ، وكل الروايات التي تساق لإثبات شخصيتها ، ضلالاً في ضلال ، لأنها تصادم لفظ القرآن ، وتنقض خبراً من أخباره ، وذلك كما سترى ...

[الغرانقة العلا ... قصتها ومن أين جاءت؟] ... «وما أرسلنا ...» هذه الآية الكريمة التي ولّد منها المفسرون وأصحاب السير ، قصة الغرانقة هذه ... ولكنّا ندع هذه القصة الآن ، وننظر في الآية الكريمة نظراً غير مرتبط بما يقال من روايات عن أسباب النزول ، ننظر إليها على أنها قرآن يُتلى ويُتعبد بتلاوته ، دون أن يكون لسبب النزول -أياً كان- أثر في موقعه من قلوبنا وعقولنا ، فقوله تعالى : «وما أرسلنا ...» هو خبر يتضمن حكماً عاماً ، لا انفكاك منه ... يقع على رسل الله وأنبيائه جميعاً ... وهذا الحكم ، هو أنه ... ما من رسول من رسل الله ، ولا نبي من أنبيائه ، إلا والشيطان راصد له ، وأنه كلما تمنى ألقى الشيطان في أمنيته! هذا صريح ما تنطق به كلمات

الله في وضوح وجلاء ... وإن كان هناك ما يُسأل عنه ، فهو كلمة «تمنى» ... فما معنى التمني؟ وماذا كان يتمنى الرسول أو النبي؟ ثم ماذا يلقي الشيطان فيما يتمناه الرسول أو النبي؟»[٦٢] . وهذا هو مدار بحثنا . فقد أشبعناه -بإذن الله- في مكان آخر . ورأينا كيف يختار الشيخ معنى التمني وأنه التطلب النفسي لا غير ، وترجي هُدى الأقوام ، فيشوش عليهم الشيطان ... الخ .

ثم تابع : «ولا يعترض على هذا القول ، بأن الرسول أو النبي كانت أمنيته هي هداية قومه ، أو معظم قومه ، ولكن الذي خلص منهم قليل ، فكيف يقال بعد هذا إن الأمنية قد تحققت؟» ثم يجيب : «إن أمنية الرسول كانت أول الأمر هي هداية قومه ، فرداً فرداً ، وهو في سبيل ذلك لا يدخر شيئاً من جهده ، ويظل صابراً على ما يرميه به السفهاء ، حتى إذا انتهى الأمر إلى غاية يتضح معها أنه لا خير يرجى من هؤلاء القوم ، مهما بذل من جهد ، إلى هنا يكون الشيطان قد غطى أمنية الرسول ، وعندئذ يتولى الله أخذ هؤلاء القوم بالبأساء والضراء ، ثم يضربهم الضربة القاضية ، وهكذا ينسخ الله ما يلقي الشيطان ويبطله ، على حين يكون قد أحكم آياته وثبتها بنجاة النبي ... إن الرسول في تلك الحال هو آية الله أو آياته التي أُحكمت ، وبقيت ، أما ما ألقى الشيطان ، فقد نُسخ ، وذهب هباءً» ... هذا «لمن نظر إلى الآية نظراً بعيداً عن وساوس الأساطير ، والإسرائيليات ، التي كان يلقي بها اليهود إلى آذان القصاص ورواة الأخبار ، فيتلقاها عنهم المفسرون»[٦٣] .

أما أن الرسول هو الآيات فلا نقر الشيخ على هذا التفسير ، ولكن ما جاء به النبي أي نبي هو الآيات التي يحكمها الله ويظهر الدين الذي دعا إليه ، ويزهق الباطل ، الذي عانده ، فهذا هو المعنى ... والله أعلم .

ولا فكّ ارتباط بطبيعة الحال بين الآيات ومبلِّغ الآيات! فإظهار الآيات إظهار للرسول . والعكس صحيح . لأن الرسول وقضيته قد التحما حتى لأصبحا شيئاً واحداً .

وتفسير الشيخ بالإهلاك لسنا معه فيه ، بل النسخ يكون بفلج حجة الحق وسطوعها ونصاعتها ولجج الباطل ودحض حججه ، ومحو أثره من النفوس ، وهزيمة

أصحابها فكرياً ... ومادياً ...

قال ابن عاشور في وجه الربط والمناسبة : «هذه الآية وما بعدها عطف على جملة «قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين» لأنه لما أفضى الكلام السابق إلى تثبيت النبي ص وتأنيس نفسه مما يلقاه من قومه من التكذيب بأن تلك شنشنة الأمم الظالمة من قبلهم فيما جاء عقب قوله تعالى : ﴿وكأيّن من قرية أمليت لها وهي ظالمة﴾ إلى آخر الآية . وأنه مقصور على النذارة فمن آمن فقد نجا ، ومن كفر فقد هلك . أريد الانتقال من ذلك إلى تفصيل تسليته وتثبيته ، بأنه لقي ما لقيه سلفه من الرسل والأنبياء عليهم السلام ، وأنه لم يسلم أحد من محاولة الشيطان ، أن يفسد بعض ما يحاولونه من هدى الأمم ، وأنهم لقوا من أقوامهم مكذبين ومصدقين سنة الله في رسله عليهم السلام . فقوله «من رسول ولا نبي» ، نص في العموم ، فأفاد أن ذلك لم يعد أحداً من الأنبياء والرسل ... »[٦٤] .

ويرى الجزائري أبو بكر وجه الربط هو تسلية بعد تسلية ، يقول : «بعد التسلية الأولى للنبي ص التي تضمنها قوله تعالى : ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت ...﴾ ذكر تعالى تسلية ثانية ، وذكر أبو بكر -أي الجزائري- سبب النزول -إياه- ، فأنزل الله هذه الآية تسلية له فقال : ﴿وما أرسلنا ...﴾ إلاّ إذا قرأ ألقى الشيطان في قراءته ... ثم بيَّن الله الحكمة من هذا الإلقاء وأنه فتنة ...»[٦٥] . وربطه النص بالسياق من خلال التسلية لطيف ، ولكن تمكين الشيطان من الإلقاء على لسان النبي ، وتعليل ذلك بأنه هذا دأبه مع كل نبي فليس فيه تسلية ولا ينسجم فيما نعتقد مع السياق . وقد مر ذلك .

ودروزة يفسر الآيات ضمن السياق فيقول : «حكت مواقف الكفار وتكذيبهم وتحديهم ثم انتهت بتقرير مهمة النبي وهي الإنذار والتبشير ، فجاءت هذه الآيات معقبة عليها لتقرر أن كل نبي ورسول يتمنى أن يؤمن الناس برسالته كما كان يتمنى النبي ويشتد به الحزن لعدم تحقيق أمنيته أو تأخرها مما حكته آيات كثيرة ...»[٦٦] . ثم يذكر الآيات التالية ولا نطيل ...

والشيخ المراغي يصنع ذات الصنيع ، وأنت تلحظ أن الأصل في من ضم الآية

إلى سياقها أنه لم يقع في شرك الإسرائيليات، يقول المراغي في وجه الربط: «بعد أن ذكر في الآيات السالفة أن قومه قد كذبوه بوسائل شتى من التكذيب فقالوا تارة: إنه ساحر، وأخرى إنه شاعر، وثالثة إن القرآن أساطير الأولين، ثم سلاه على هذا بأنه ليس بدعاً من الرسل، فكثير قبله قد كذبوا، ثم ذكر أن لعظيم استهزائهم به، وتهكمهم بما يبلغهم عن ربه، طلبوا منه استعجال العذاب، أردف ذلك بذكر نوع آخر من التكذيب، وهو إلقاؤهم الشبه والأوهام فيما يقرؤه على أوليائه من القرآن ليجادلوه بالباطل، ويردوا ما جاء به من الحق ويكون في ذلك فتنة لضعاف الإيمان...»[٦٧].

وقد بدأ صاحب الظلال رحمه الله تعالى تفسير الآيات من قوله تعالى: ﴿وإن يكذبوك...﴾ آية ٤٢ إلى قوله تعالى: ﴿... عذاب مهين﴾ آية ٥٧، وقال في ربطها بسياقها: «انتهى الدرس السابق عند الإذن بالقتال لحماية العقائد والشعائر، ووعد الله بالنصر لمن ينهضون بتكاليف العقيدة... وإذ انتهى من بيان تكاليف الأمة المؤمنة، أنشأ يطمئن الرسول ص... إلى أن الله يحمي رسله من كيد الشيطان كما يحميهم من كيد المكذبين. ويبطل ما يحاوله الشيطان ويحكم آياته ويجلوها للقلوب السليمة... فالدرس كله (يقصد الوحدة أو المجموعة من الآيات) بيان لآثار يد القدرة وهي تتدخل في سير الدعوة، بعد أن يؤدي أصحابها واجبهم، وينهضوا بتكاليفها التي سبق بها الدرس الماضي في السياق. فهي سنة مطردة في الرسالات كلها، قبل الرسالة الأخيرة...». ثم ذكر صاحب الظلال الروايات، ثم عقب عليها بقوله: «وقد أولع المستشرقون والطاعنون في هذا الدين بذلك الحديث، وأذاعوا به، وأثاروا حوله عجاجة من القول. والأمر في هذا كله لا يثبت للمناقشة، بل لا يصح أن يكون موضوعاً للمناقشة. وهناك من النص ذاته ما يستبعد معه أن يكون سبب نزول الآية شيئاً كهذا، وأن يكون مدلوله حادثاً مفرداً وقع للرسول ص، فالنص يقرر أن هذه قاعدة عامة في الرسالات كلها، مع الرسل كلهم... فلا بد أن يكون المقصود أمراً عاماً يستند إلى صفة مشتركة بين الرسل جميعاً، بوصفهم من البشر، مما لا يخالف العصمة المقررة للرسل». ثم بين المعنى حسب رأيه، فيقول: «إن الرسل عندما يكلفون حمل الرسالة، يكون أحب شيء إلى نفوسهم أن يجتمع الناس على الدعوة، وإن يدركوا الخير فيتبعوه، ولكن العقبات في طريق الدعوات كثير. والرسل محدودو

الأجل . فيتمنون لو يجذبون الناس إلى دعوتهم بأسرع طريق . . . يودون مثلاً لو يسكتون مؤقتاً عن تقاليد الناس . . . ويودون . . . ويودون . من مثل هذه الأماني والرغبات البشرية المتعلقة بنشر الدعوة وانتصارها . . . ذلك على حين يريد الله أن تمضي الدعوة على أصولها الكاملة ، وفق موازينها الدقيقة ، ثم من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . فالكسب الحقيقي للدعوة في التقدير الإلهي الكامل غير المشوب بضعف البشر وتقديرهم . . . هو أن تمضي على تلك الأصول وفق تلك الموازين ، ولو خسرت الأشخاص في أول الطريق . فالاستقامة الدقيقة الصارمة على أصول الدعوة ومقاييسها كفيل أن يثني هؤلاء الأشخاص أو من هم خير منهم إلى الدعوة في نهاية المطاف ، وتبقى مثل الدعوة سليمة لا تخدش ، مستقيمة لا عوج فيها ولا انحناء . . .

ويجد الشيطان في تلك الرغبات البشرية ، وفي بعض ما يترجم عنها من تصرفات أو كلمات فرصة للكيد للدعوة ، وتحويلها عن قواعدها ، وإلقاء الشبهات حولها في النفوس ، ولكن الله يحول دون كيد الشيطان ، ويبين الحكم الفاصل فيما وقع من تصرفات أو كلمات ، ويكلف الرسل أن يكشفوا للناس عن الحكم الفاصل ، وعما يكون قد وقع منهم من خطأ في اجتهادهم للدعوة . كما حدث في بعض تصرفات الرسول ص وفي بعض اتجاهاته ، مما بين الله فيه بياناً في القرآن . . .[٦٨] بذلك يبطل الله كيد الشيطان ، ويحكم الله آياته ، فلا يبقى هناك شبهة في الوجه الصواب . . .»[٦٩] .

والربط الذي ربط والمعنى الذي اختار ، هو الذي يمكن أن يكون اللائق والمناسب لا ما قيل من روايات وحكايات . . .

تفسير آيات سورة الحج في ضوء سياقها :

والآن نلقي نظرتنا الخاصة على الآية الكريمة ضمن سياق السورة ، فنقول والله المستعان : في مطلع السورة جاء قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾ الآيات ٣-٤ .

هذه هي الآية الثالثة من سورة الحج ، فهي في مفتتح السورة الذي يلخص موضوعاتها ، ولقد جرت عادة القرن الكريم أن يعطي في مفتتح السورة موجز الموضوعات والقضايا ثم يفصل هذا الإجمال والإيجاز في ثنايا السورة وفي سياقها .(٧٠)

فإذا نظرنا للآية موضوع البحث في ضوء هذه القضية ظهر لنا أن قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ...﴾ الآية ٥٢ . أن هذا جزء من تفصيل تلك الفاتحة المباركة ، أي أن الشيطان يلقي في قلوب قوم النبي الذين يدعوهم النبي إلى الإيمان ويتمنى أحر التمني ويحرص أشد الحرص على هدايتهم ، يلقي الشيطان في عقولهم شبهات تجعل أمنية هذا النبي بعيدة المنال ، لكن القاعدة الكونية أن الزبد يذهب جفاء وأما الذي يرفع الناس وينفع الناس فيمكث ويدوم ويبقى في الأرض ، ففي ضوء هذه الحقيقة أيضا ، ينسخ الله شبهات الشيطان وتلامذته ، ويحكم الله آياته وينصر الإيمان وأهله ، وتتم بذلك سنة المدافعة الفكرية والمادية التي أشارت إليها بوضوح سورة الحج المباركة ذاتها في قوله تعالى : ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ، وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ، وقوم إبراهيم وقوم لوط ، وأصحاب مدين وكُذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير﴾ الآيات ٣٩-٤٤ . فإذا ضممنا إلى هذا قوله تعالى في سياق السورة المباركة -وهي وكل سورة في القرآن وحدة موضوعية واحدة(٧١) - : «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير(٧٢) ، ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد» الآيات ٨-١٠ . إن هذا النص الكريم المبارك وهو ما زال في مفتتح السورة يؤكد الآية الثانية بمنتهى الوضوح والتنصيص .

ثم تأمل النص التالي للنص الذي كنا بين يديه قبل قليل : ﴿ومن الناس من

يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد ، يدعو لَمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ، إن الله يدخل الذي آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ، إن الله يفعل ما يريد﴾ الآيات١١-١٤ . ألا يذكرك النص بقوله تعالى : ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ..﴾ الآية ٥٣ . يقول النص الكريم إن فريقا من الناس يجادل دعوة الإيمان ودعاتها بغير علم ولا هدى ولا كتاب ينير له دروب الفكر وقضايا العقل . ودافعه في ذلك الاستكبار ، الذي هو خلق إبليس وفعله الذي أورده اللعنة والنار ، وهدفه أي هذا المجادل المتبع رأس الكفر -إبليس- هدفه هو الإضلال عن سبيل الله ، أما مصيره فعذاب الحريق جزاء صنيعه . ثم قال إن من الناس لفريقا يعبدون الله برسم الافتتان ، على حافة غير متمكنة ، ثم بيّن أن هؤلاء يتبعون كسالفيهم الشيطان المريد الذي ضره أقرب ، وبئس المولى هو وبئس من تولاه . ألسنا في الجو ذاته الذي تؤكده الآية : ﴿إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ..﴾؟ .

ثم تأمل مزيدا من استحضار المعنى ذاته في سياق السورة أن الكلام كله عن الصراع بين الحق والباطل وأن الباطل منسوخ والحق ناسخ وظاهر ومنتصر : ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يُذهبنّ كيده ما يغيظ ، وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد﴾ الآيات ١٥-١٦ .

وإذا تابعت النظر في آيات السورة ، تتابعت أمداد المعنى على هذا النحو وتعزز النظر لديك ، وما رأيت من فطور : ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ، ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء﴾ الآية ١٨ .

﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ الآية ١٩ ، ثم ختم هذا الصراع وهذه الخصومة بالجزاء الأخروي ، ففريق كفر وهذا له الحميم والمقامع الحديد وعذاب الحريق ، وأما المؤمنون فلهم لباس الحرير وهدوا إلى صراط الحميد .

ثم تكلمت الآية التالية أو الآيات عن جو الصراع ذاته : ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ...﴾ الآية ٢٥ .

في هذا السياق الذي أوجزتُ بعض مضامينه جاء قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاّ ...﴾ الآية ٥٢ .

ثم عاد بعدها ليؤكد جو الصراع ونصرة أهل الإيمان على نفس نسق السورة : ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور﴾ الآية ٦٠ ... ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾ الآية ٦٢ .

ثم جاء الختام مؤكداً الافتتاح ، فيما نسميه : عطف البدء على الختام[٧٣] . ﴿ .. لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه ، فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم . وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون . ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير . ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير﴾ الآيات ٦٧-٧١ .

ثم تأمل الصراع الذي صبغ جو السورة كله في الآية التالية : ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذي كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ...﴾ الآية ٧٢ .

وتأمل الختام النهائي فقد شمل كل الذي قيل من الولاية والدعوة والنصرة والرسالة : ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور . يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ الآيات٧٥-٧٨ .

القول المختار في تفسير الآية الكريمة :

في ضوء النظر في السياق نقول إن معنى الآية على ما نراه هو : يخبر الله تعالى عن سنة من سننه الكونية والاجتماعية في خلقه ، هذه السنة مفادها ومؤداها أنه سبحانه ما أرسل من رسول ولا نبي قبل النبي ﷺ ، إلاّ إذا تمنى هُدى قومه وترجاه وطلبه ، وحرص عليه وعمل له بجد وإخلاص ودعا قومه إلى الإيمان لتحقيق هذه الأمنية التي هي لصالح الإنسانية وليست أمنية شخصية ، إلاّ إذا تمنى هذه الأمنية ألقى الشيطان في أمنيته أي في مادة الدعوة وهم البشر وعقولهم ونفوسهم وقلوبهم ، على طريقة وسنة قوله تعالى : ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾ الأنعام : ١١٢ . وعلى منهج قوله تعالى : ﴿ولأضلّنّهم ولأمنّينّهم ... ﴾ و ﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ النساء : ١١٩-١٢٠ .

هذا الإلقاء الشيطاني في عقول المدعوين ، يمنطقه مَناطِقة مختصون ، وينظّره فلاسفة منظّرون حتى يغدو الكفر فلسفة ومذهباً له منطقه وسياقه الفكري ، ومنظومته النظرية ، وتطبيقاته العملية ... مما يصعّب العمل على الرسل ويجعل الدعوة نحتاً في الصخر ، لكن الله تعالى له سنة أخرى لا تُرَد كذلك هي أن الزبد يذهب جُفاء والذي ينفع الناس يمكث في الأرض .(٧٤)

وهذه السنة يمثلها قوله تعالى كذلك : ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ الأنبياء : ١٨ . فالكافرون والمشركون «حجتهم داحضة» ، وحجة الحق ظاهرة كما قال تعالى عن إبراهيم : ﴿وتلك حجتنا أتيناها إبراهيم ...﴾ الأنعام : ٨٣ ، وكما قال سبحانه : ﴿قل فلله الحجة البالغة ...﴾ الأنعام ١٤٩ . وما أجمل أن يظهر الحق بعد صراع ، وما أجمل أن تظهر الشمس بعد غيم وبرد ...

على هذا السنن العظيم القويم ينسخ الله الباطل ويظهر دينه على الدين كله ، ويتم نوره على ما يصطنع الباطل من ظلمات ، ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ...﴾ الحج : ٥٢ . فالنسخ هنا هو الإبطال بالمعنى اللغوي للكلمة ،

فما ثَمَّ ما يُنسخ بالمعنى الاصطلاحي للنسخ . وإحكام الآيات بدفع الشبه وتفسير المتشابهات بجهود العلماء ومجتهدي الأمة الراسخين في اللغة والدين .

هذا هو معنى الآية في ضوء آيات سورة الحج الحافلة بمواقف الحجاج والخصومة الفكرية والدعوية . . .

وفي ضوء سورة الأنعام القريبة في جوها من جو سورة الحج بل في ضوء استقراء الآيات في القرآن الكريم كله . . . فلا يعقل أن نُغيِّب عن عقولنا استقراء السورة واستقراء آيات الكتاب ، ثم نُعمل نص رواية دسها الزنادقة كما قال أئمتنا وعلماؤنا[٧٥] .

إن تمكن الشيطان من مادة الدعوة -كتب الأنبياء - ليس سنة لله عز وجل . . . بل سنته تعالى حماية كتبه ودينه ، وعصمة رسله من أن تتطرق إليهم وإلى مادة دعوتهم -الكتب- نفثات الشياطين .

وإنما للشياطين نفثات ينفثونها ، ووسوسات يوسوسون بها في عقول وصدور الناس -الذين هم مادة الدعوة وحقلها- . . .[٧٦]

وفي هذا عشرات الآيات[٧٧] ، فكيف نغفل عن هذه الشمس الساطعة الواضحة ، والنهار المتجلي لنتخبط في التيه والبيداء والظلمات؟ وكيف لا نرد المتشابه للمحكم -إن فرضنا أن الآية من المتشابه-؟ ألم يعلِّمنا القرآن أن نرد المتشابهات إلى المحكمات حتى تغدو جميع الآيات محكمات؟[٧٨]

إن الذين في قلوبهم زيغ وضلال هم الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . أما الراسخون فيعلمون المعنى على مراد الله ووفق سنة الله في خلق الله وفي كون الله ، ويردُّون المتشابه إلى المحكم حتى لا تلتبس الآيات على الذين ليس عندهم الرسوخ ، أو الذين في قلوبهم وهن أو مرض .

هذا التفسير المستنِد إلى روح الإسلام ومبادئه العظيمة من التوحيد والعصمة ودحر الشيطان ، والمستنِد إلى السياق ، واستقراء اللفظة القرآنية ، والمنسجم مع العقل

والنقل ، والواقع والحق ، خير من الاستناد إلى باطل الروايات ومنحول الأقوال ومختلق الأحاديث(٧٩) .

وختاماً ، وفي آخر كلمة ، نضع بعدها القلم ، في هذا البحث ، نقول : إذا كان الله حفظ السماء من استراق السمع ، مجرد الاستراق ، أفلا يحفظ كتابه من الاختراق؟ والكتاب أعظم من السماء ، والاختراق أعظم من الاستراق!! هذا والله أعلم ، وبالله التوفيق ...

نتائج البحث وخلاصة القول :

١- المعنى اللغوي -كما تورده المعاجم والقواميس- هو المدخل لتفسير آيات كتاب الله ، ومعنى كلمات القرآن ومفردات تركيبه . ولكن المشكل في المعنى اللغوي أن كل ما صح لغة ليس يصح بالضرورة في تفسير الكلمة أو المفردة أو التركيب في السياق القرآني . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن المعاجم عكست اتجاه السير أحياناً فأخذت من التفاسير وضمّنت المعاني في المعاجم حتى ليظن الظان أن المعنى هو هكذا بأصل الوضع اللغوي ، وربما لا يكون كذلك ، وهي مسألة تحتاج إلى جهد كبير . ولكنا نكتفي بالإشارة إلى المشكل وطرحه على بساط البحث . ونقول تفريعاً إن «تمنى» تجلٍ كاملٌ لهذا المشكل ، فإننا في شك كبير من أن من معاني «تمنى» لغة «تلا» . وإنما التمني هو المعروف ...

٢- ليس لقوله تعالى ﴿...إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ...﴾ سبب نزول ، حتى نضطر إلى ربط الآية بسبب نزول حسب من توسعوا في البحث عن أسباب النزول كما توسعوا في الناسخ والمنسوخ .ذلك أن الآية تبين سنة عامة وناموساً جرى على كل الرسل ليس يرتبط بسبب نزول .ثم إن الذي ذكروه سبب نزول ترتب على نزول الآية ولم تترتب الآية عليه ، والأصل أن سبب النزول هو الذي يترتب على وروده أو وجوده وحدوثه نزول آيات ، لا الذي يترتب هو على نزول الآيات .فسجود المشركين حدث ترتب على آيات النجم -إن سلم سنداً ومتناً- والإلقاء المزعوم من الشيطان في الآيات ليس يتصور سبب نزول ...

٣- الربط بين آيات النجم وآية الحج ليس عليه دليل ولا ثَمَّة إشارة إلى تزامن السورتين سوى هذه الرواية المتهافتة سنداً ومتناً .وكما قال بعض سادتنا ، فإن أعداء الله لم يكتفوا بالإساءة إلى سورة النجم ، فتعدوه بالإساءة إلى أختها سورة الحج .وحاشا لسور كتاب الله ، وحاشا لأنوار كتاب الله أن تطفئها أفواه الكفرة: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره﴾ .

٤- القرآن علَّمنا قاعدة ذهبية ، وسلمنا مفتاحاً مهماً من مفاتح فهم آياته ، ذلكم هو رد المتشابه إلى المحكم ، وإنّا إن طبقنا هذه القاعدة على الآية المشكلة التي معنا استبان لنا أن معنى الآية لن يكون على ما قالت معظم التفاسير وإنما سيستبين لنا في ضوء ذلك المحكم أن كتاب الله لا تتسلط عليه الشياطين ولا تتنزل على القلب الطهور الأطهر ، ولا تقترب من الحمى الأقدس ...وإنما أوقعنا في هذه الغثاثات والأضغاث من الفهم عدم رد المتشابه إلى المحكم.

٥- في ضوء سياق سورة الحج واستقراء اللفظة في القرآن والتفاسير الأصولية الأصيلة ، المعتمِدة صحيح النقل وصريح العقل ، نجد أن التمني لا يخرج عن معناه المشهور المتبادر في اللسان وفي السياق ، سيان ، وهو ترجي إسلام القوم وهدايتهم ، ولكن الشيطان الذي نذر نفسه وجندها لحرب كلمة الله ودعوة الله قعد للمدعوين بالمرصاد يثير في عقولهم الشبهات وفي نفوسهم الشهوات ليصدهم عن سبيل الله ودعوة الله وأنبياء الله ، لكن الله الذي كتب لرسله الغلبة ، ولكلماته التمام والفلج ، وللحق الظهور والبقاء في الأرض ، أزهق وساوس الشياطين وإلقاءاتها وأظهر دعوة رسله وخَاتَمَهم ، وذهب الزبد جفاءً ، وانتشرت شمس الحق وظهرت ، واندحرت جيوش الظلام ، ثم داول الله الأيام ، ولكن تمام الكلام ، وسير الأمور قدماً إلى الأمام ، كل ذلك من سنن الله ...لنرى كيف يظهر دين الحق على الدين كله ، ويذهب الزبد جفاءً من جديد ، ويقذف الله الحق على الباطل فيدمغه ويزهقه ...وتتم كلمة الله صدقاً وعدلاً ...أما أن يتمكن الشيطان من الوحي ومن رسول الله فهذا وهم المبطلين وصدّقهم مغفّلة المؤمنين . . .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

١- الأصفهاني ، الراغب : المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد كيلاني . بيروت : دار المعرفة .

٢- الآلوسي ، أبو الفضل شهاب الدين محمود : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . بيروت : دار إحياء التراث العربي . بلا تاريخ . مصورة عن الطبعة الأميرية بمصر .

٣- البحراني ، هاشم : البرهان في تفسير القرآن ، ط٣ ، بيروت : مؤسسة الوفاء ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

٤- البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء : معالم التنزيل . طبعتان . بيروت : دار المعرفة ١٩٨٦م ، ودار الكتب العلمية ١٩٩٤م . وطبعة أخرى ، القاهرة : ط٢ ، عيسى الحلبي ١٩٥٥م .

٥- البقاعي ، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر :نظم الدرر في تناسق الآيات والسور ، تحقيق :عبد الرزاق المهدي ، ط١ ، بيروت :دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٦- البيضاوي ، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي : تفسير البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تركيا : المكتبة الإسلامية ١٣٠٥هـ .

٧- البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية . وطبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، تحقيق السيد أحمد صقر ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م .

٨- التجيبي ، أبو يحيى محمد بن صمادح : مختصر تفسير الإمام الطبري ، حققه : محمد الزفيتي ، ط١ ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م .

٩- ابن تيمية ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم : النبوات ، القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٨٦هـ.

١٠- ابن تيمية ، تقي الدين أحمد :مقدمة في أصول التفسير .تقديم :حسنين مخلوف .القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٩٦٦م.

١١- ابن تيمية ، تقي الدين أحمد : الفتاوى الكبرى ، مجموعة فتاوى ابن تيمية ، القاهرة :دار المنار ١٩٩١م . والسعودية : ط١ ، ١٣٩٨هـ ، جمع العاصمي.

١٢- ابن تيمية : دقائق التفسير ، جمع وتحقيق وتقديم : د .محمد السيد الجليند ، ط١ ، القاهرة : دار الأنصار ١٩٧٨م.

١٣- الجاوي ، محمد بن عمر نووي : مراح لبيد ، القاهرة : دار الكتب العلمية ، بلا تاريخ.

١٤- ابن جزي الكلبي ، محمد بن أحمد : التسهيل لعلوم التنزيل ، ط٢ ، بيروت :دار الكتاب العربي ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

١٥- الجلالان ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري وجلال الدين بن محمد بن أحمد المحلي :تفسير الجلالين ، بيروت :دار المعرفة .دمشق :مكتبة الملاح.

١٦- الجمل ، سليمان بن عمر العجيلي :حاشية الجمل على الجلالين أو الفتوحات الإلهية ، القاهرة :عيسى الحلبي .بلا تاريخ.

١٧- ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي : زاد المسير في علم التفسير ، دمشق : المكتب الإسلامي ١٩٦٤م . ط٣ ، بيروت : المكتب الإسلامي ١٩٨٤م .

١٨- ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد إدريس الرازي : تفسير القرآن سنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ، (تفسير ابن أبي حاتم) تحقيق : أسعد

الطيب ، ط١ ، مكة-الرياض : مكتبة الباز ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٩- ابن حجر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكناني : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، القاهرة : مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٩م .

٢٠- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد :الفصل في الملل والأهواء والنحل ، بيروت : دار المعرفة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢١- ابن حنبل ، أحمد : مرويات الإمام أحمد في التفسير ، جمع وتخريج : أحمد البزرة ورفيقيه ، ط١ ، السعودية :مكتبة المؤيد ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٢- أبو حيان ، أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي : البحر المحيط ، ط١ بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٣- أبو حيان ، أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي : النهر الماد من البحر ، لبنان : دار الجنان ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م

٢٤- الخازن ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي : لباب التأويل في معاني التنزيل ، عدة طبعات ، القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ١٩٦١م . ط٢ ، القاهرة : مصطفى الحلبي ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م .

٢٥- الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق : علي البجاوي ، القاهرة : عيسى الحلبي .

٢٦- الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين (٥٤٤هـ-٦٠٦هـ) : التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، ط١ ، القاهرة :المطبعة البهية المصرية.

٢٧- الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر : الكشاف ، بيروت : دار المعرفة ١٩٧٠م.

٢٨- الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر : أساس البلاغة ، القاهرة: كتاب الشعب عدد ١٠٣ سنة ١٩٦٠م.

٢٩- الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر : الفائق في غريب الحديث ، تحقيق : أبو

الفضل إبراهيم والبجاوي ، ط٢ ، القاهرة : مصطفى الحلبي ١٩٧١م.

٣٠- السخاوي ، زين الدين أبو الفضل العراقي : فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، المدينة المنورة : المكتبة السلفية ١٩٦٨م.

٣١- السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد : بحر العلوم ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣٢- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : الدر المنثور ، بيروت :دار المعرفة ، بلا تاريخ .وطبعة دار الفكر ، بيروت : ١٩٨٣م.

٣٣- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضري : لباب النقول في أسباب النزول ، ط٢ ، القاهرة : مصطفى الحلبي ١٩٥٤م.

٣٤- الشهاب ، القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي : حاشية الشهاب على البيضاوي المسماة : عناية القاضي وكفاية الراضي ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٣٥- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد : فتح القدير ، بيروت : دار المعرفة ، بلا تاريخ .

٣٦- ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن : التقييد والإيضاح لكتاب ابن الصلاح في اصطلاح الحديث ، بيروت : دار الفكر ١٩٨١م.

٣٧- الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسين : مجمع البيان في تفسير القرآن ، ط١ ، بيروت : دار المعرفة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٨- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ط٢ ، القاهرة : مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.

٣٩- الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن : التبيان ، تحقيق :أحمد حبيب قصير العاملي ، النجف : مكتبة ومطبعة الأمين ١٣٨١هـ-١٩٦١م.

٤٠- عبد الجبار، قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسدآبادي: متشابه القرآن، تحقيق: د .عدنان زرزور، القاهرة: دار التراث ١٩٦٩م.

٤١- ابن عبد الوهاب، محمد: مختصر سيرة الرسول ص، ط٤، الدوحة: مطابع العروبة، دار الكتب القطرية ١٣٨٩هـ.

٤٢- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله: أحكام القرآن، تحقيق :محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤٣- ابن عربي، محي الدين: تفسير القرآن الكريم، تحقيق: د .مصطفى غالب، ط٣، بيروت: دار الأندلس ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٤٤- ابن عطية، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

٤٥- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٤٦- العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد: عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، الشركة الصحافية العثمانية ,١٨٩٠

٤٧- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، بيروت ودمشق: دار الفكر.

٤٨- الفيروزأبادي، مجد الدين أبو الطاهر بن يعقوب: القاموس المحيط، القاهرة :دار الحديث.

٤٩- الفيومي، محمد بن علي المقري: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ط٦، القاهرة: المطبعة الأميرية ١٩٢٦م.

٥٠- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة : دار الكتب المصرية ١٩٣٧م.

٥١- القشيري ، عبد الكريم ين محمد النيسابوري : لطائف الإشارات ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م.

٥٢- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر : بدائع التفسير (جمع تفسير ابن القيم) ، جمعه وحققه : يسري السيد أحمد ، ط١ ، السعودية : دار ابن الجوزي ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .

٥٣- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، تحقيق وتعليق : مجدي السيد ، القاهرة : دار الحديث ١٩٩١م .

٥٤- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي :تفسير القرآن العظيم ، القاهرة : مطبعة المنار ١٩٢٨م . وبيروت :دار المعرفة ، بلا تاريخ.

٥٥- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد : النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، ط١ ، بيروت : مؤسسة الكتب ودار الكتب ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٥٦- ابن منظور الإفريقي ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري : لسان العرب ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي . وطبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصورة عن طبعة بولاق ، بلا تاريخ .

٥٧- النحاس ، أبو جعفر : الناسخ والمنسوخ في القرآن ، تحقيق : د . سليمان اللاحم ، ط١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ-١٩٩١م .

٥٨- النسائي ، أبو عبد الله أحمد بن شعيب :سنن النسائي ، بشرح السيوطي وحاشية السندي ، القاهرة :المكتبة التجارية.

٥٩- النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود : تفسير النسفي (مدارك

التنزيل وحقائق التأويل) ، القاهرة : عيسى الحلبي ، بلا تاريخ.

٦٠- النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد القمي : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٦١- الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٩٤م.

٦٢- الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ط١ ، الدار الشامية ودار القلم ١٩٩٥م.

٦٣- الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي : أسباب النزول ، بهامش العديد من التفاسير ومستقلاً ، القاهرة : مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٩م.

ثانياً : المراجع

١- الأشقر ، د . محمد سليمان : زبدة التفسير من فتح القدير ، ط٢ ، الكويت : وزارة الأوقاف ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

٢- الألباني ، محمد ناصر الدين : نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ، ط .١ دمشق : المكتب الإسلامي ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م .

٣- الإمام ، د . أحمد علي : مفاتح فهم القرآن . الخرطوم : جامعة القرآن الكريم ١٩٩٧م . مصفوف كمبيوتر .

٤- أنيس ، إبراهيم ورفاقه : المعجم الوسيط ، ط٢ ، بلا ناشر ولا تاريخ .

٥- البروسوي ، إسماعيل حقي : روح البيان . بيروت : دار إحياء التراث العربي .

٦- الجزائري ، أبو بكر جابر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م . بلا ناشر ولا مكان .

٧- جوهري ، طنطاوي : الجواهر في تفسير القرآن ، ط٢ ، القاهرة : مصطفى الحلبي ١٣٥٠هـ .

٨- حوى ، سعيد : الأساس في التفسير ، ط١ ، القاهرة : دار السلام

١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٩- خان ، صديق حسن : فتح البيان في مقاصد القرآن ، القاهرة : عبد المحي علي محفوظ ١٩٦٥م .

١٠- الخطيب ، عبد الكريم : التفسير القرآني للقرآن ، ط١ ، القاهرة : دار الكتاب العربي ، بلا تاريخ .

١١- خياط ، يوسف : لسان العرب المحيط لابن منظور ، ط١ ، بيروت : دار لسان العرب .

١٢- دروزة ، محمد عزة : التفسير الحديث ، بيروت : دار إحياء الكتب العربية .

١٣- الذهبي ، د . محمد حسين : الإسرائيليات في التفسير والحديث ، ط٢ ، دمشق : دار الإيمان ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م . وط٤ ، القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٩٠م .

١٤- رضا ، محمد رشيد : تفسير المنار المسمى : تفسير القرآن الكريم ، ط٢ ، بيروت : دار المعرفة ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م . وطبعة الشعب ، القاهرة .

١٥- الرفاعي ، محمد نسيب : تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، الرياض : مكتبة المعارف ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .

١٦- الزحيلي ، د . محمد وهبة : التفسير المنير ، ط١ ، بيروت : دار الفكر . ودمشق : دار الفكر المعاصر ١٤١١هـ-١٩٩١م .

١٧- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ط٢ ، بيروت : عالم الكتب ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .

١٨- سعيد ، جودت : كن كابن آدم ، ط١ ، دمشق : دار الفكر ، بيروت : دار الفكر المعاصر ١٩٩٧م .

١٩- بنت الشاطيء ، عائشة عبد الرحمن : الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق ، ط١ ، القاهرة : دار المعارف ١٩٧١م .

٢٠- الشافعي ، د . حسين محمد فهمي : قاموس الألفاظ القرآنية ، ط١ ، القاهرة : دار الشعب ١٩٩٣م .

٢١- شاكر ، أحمد محمد : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، ط٣ ،

القاهرة : مكتبة صبيح ١٩٥٨م .

٢٢- الشنقيطي ، محمد الأمين محمد المختار : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، بيروت : عالم الكتب .

٢٣- الصابوني ، محمد علي : مختصر تفسير ابن كثير ، ط٧ ، بيروت : دار القرآن ١٤٠٢هـ-١٩٨١م .

٢٤- الصابوني ، محمد علي : تنوير الأذهان في تفسير روح البيان/ إسماعيل حقي البروسوي ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، ط٢ ، دمشق : دار القلم ١٩٨٩م .

٢٥- ضيف ، د . شوقي : الوجيز في تفسير القرآن الكريم ، ط١ ، القاهرة : دار المعارف ١٩٩٤م .

٢٦- الطباطبائي ، محمد حسين : الميزان ، بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

٢٧- طنطاوي ، د . محمد السيد : التفسير الوسيط ، ط٣ ، القاهرة : دار الرسالة ١٩٨٥م . وط المعارف ١٩٩٠م .

٢٨- ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير ، تونس : الدار التونسية ١٩٧٢م .

٢٩- عبد الباقي ، محمد فؤاد : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، القاهرة : كتاب الشعب ١٣٧٨هـ .

٣٠- القاري ، علي : شرح الشفا للقاضي عياض ، بيروت : دار الكتب العلمية ، بلا تاريخ .

٣١- القاسمي ، محمد جمال الدين : محاسن التأويل ، ط١ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .

٣٢- قطب ، سيد : في ظلال القرآن ، ط٥ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م .

٣٣- مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، طبعتان ، مصر : دار الشروق ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، في مجلد واحد . وط٢ ، مجمع اللغة بمصر ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، في مج لدين .

٣٤- مخلوف ، حسنين محمد : صفوة البيان لمعاني القرآن ، عدة طبعات ، ط٣ ، الكويت : وزارة الأوقاف ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م . والقاهرة : دار الكتاب العربي ١٩٥٧م . وبيروت : دار الفكر ١٩٧٠م .

٣٥- المراغي ، أحمد مصطفى : تفسير المراغي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، بلا تاريخ .

٣٦- مغنية ، محمد جواد : التفسير الكاشف ، بيروت : دار العلم للملايين .

٣٧- مكرم ، عبد العال سالم ، وأحمد مختار عمر : معجم القراءات القرآنية ، ط١ ، جامعة الكويت : ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م .

٣٨- الموصلي ، رشيد الخطيب : تفسير القرآن العظيم المسمى : أولى ما قيل في آيات التنزيل ، الموصل : جامعة الموصل ، ودار الكتب للطباعة والنشر ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م .

٣٩- هيكل ، د . محمد حسين : حياة محمد ، ط٩ ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥م .

40- The Holy Quran; English Translation of the meanings and commentary, revised and edited by The Presidency of Islamic research; King Fahad Printing, Madina 1410 H.

الهوامش :

(1) The verse in The Holy Quran is: "Never did we send a messenger or a prophet before thee, but when he framed a desire, Satan threw some vanity into his desire, but Allah will cancel anything that Satan throws in..." page 966.

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٣ ص٢٠٣-٢٠٤ بيروت : دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي . وخياط ، يوسف : لسان العرب المحيط لابن منظور ، ج٣ ص٥٣٥-٥٤٠ بيروت : دار لسان العرب .

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ص٦٣٢ ، مجمع اللغة العربية ، مصر : دار الشروق ١٤٠١هـ-١٩٨١م . والمعجم نفسه ، ط٢ ، ج٢ ص١٠٦١ ، مجمع اللغة بمصر ، سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

(٤) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج٥ ص٤٢٧ ، ط٢ ، بيروت : دار المعرفة ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م . وطبعة الشعب ، القاهرة .

(٥) التفسير القرآني ، ج٧ ص١٠٦٢-ص١٠٦٣ .

(٦) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ج١٧ ص٢٩٧ ، تونس : الدار التونسية ١٩٧٢م .

(٧) الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، ص٤٧٥-ص٤٧٦ ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، بيروت : دار المعرفة . بلا تاريخ .

(٨) القاموس المحيط ، ج٤ ص٣٩٢ .

(٩) لسان العرب ، ج١٣ ص٢٠٣-ص٢٠٤ . ويرجع إلى : ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، ج٥ ص٢٧٦-ص٢٧٧ ، دار الفكر . والمعجم الوسيط ، ج٢ ص ٨٨٩ . والفيروز أبادي ، مجد الدين أبو الطاهر بن يعقوب : القاموس المحيط ، ج٤ ص٣٩٢ ، القاهرة : دار الحديث . والمقري الفيومي ، محمد بن علي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، ج٢ ص٨٠٠ ، ط٦ ، القاهرة : المطبعة الأميرية ، سنه ١٩٢٦م . الزمخشري : أساس البلاغة ، ص٩١٧-ص٩١٨ ، القاهرة : كتاب الشعب عدد ١٠٣ ، سنة ١٩٦٠م . والمنار ، ج٥ ص٤٢٧ .

(١٠) ارجع إلى : الزمخشري : الفائق في غريب الحديث ، ج٣ ص٣٩٠- ٣٩٢. واستشهاده بقول الحسن لا يسلم أنه بمعنى التلاوة بل الظاهر أنه بمعنى الترجي . وابن فارس : معجم المقاييس ، ج٥ ص٢٧٦-ص٢٧٧ . وابن منظور : لسان العرب ، ج١٣ ص٢٠٣-ص٢٠٤ ، ويوسف خياط : لسان العرب المحيط لابن منظور ، ج٤ ص٥٣٥-ص٥٤٠ .

(١١) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ج١٧ ص ٢٩٧. .

(١٢) التحرير والتنوير ، ج١٧ ص٣٠٦ ، تونس : الدار التونسية ١٩٧٢م .

(١٣) الطبري ، ابن جرير : جامع البيان ، ج١٧ ص١٨٦-ص ١٩٠. ومختصر الطبري لابن صمادح التجيبي ، ج١ ص٤٨٨ ، حققه : محمد الزفيتي ، ط١ ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م .

(١٤) عبد الجبار ، قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسدأبادي : متشابه القرآن ، ج٢ ص٥١٠-ص٥١١ ، تحقيق : د . عدنان زرزور ، القاهرة : دار التراث ١٩٦٩م .

(١٥) القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن ، ج١٢ ص٧٩-ص٨٦ ، القاهرة : دار الكتب المصرية ١٩٣٧م . وزاد ابن عطية : اختلف الناس في صورة هذا الإلقاء فالذي في التفاسير وهو مشهور القول أن النبي هو الذي تكلم بتلك الألفاظ ، والذي يختاره ابن عطية أن الشيطان هو الذي نطق بلفظ أسمعه الكفار . وتمنى على هذا : تلا ولا بد! ثم ذكر أن الطبري أشبع الإسناد في أن إلقاء الشيطان كان على لسان النبي!! المحرر الوجيز ، ج٤ ص١٢٨-ص١٢٩ ، تحقيق ، عبد السلام عبد الشافي ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ١١٣هـ-١٩٩٣م . والقشيري قريب من ابن عطية : ارجع إلى اللطائف ، ج٢ ص٥٥٥ ، ط٢ ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م . وارجع إلى مراح لبيد ، ج٢ ص٧٧ ، القاهرة : دار الكتب العلمية .

(١٦) النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود : تفسير النسفي ، ج٣ ص١٠٦-ص١٠٧ ،

القاهرة : عيسى الحلبي ، بلا تاريخ .

(١٧) السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد : تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، ج٣ ص٣٩٩ ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

(١٨) الآلوسي ، أبو الفضل شهاب الدين محمود : روح المعاني ، ج١٧ ص١٧٣-١٧٤ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، بلا تاريخ ، مصور عن الطبعة الأميرية بمصر .

(١٩) ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي : زاد المسير في علم التفسير ، ج٥ ص٤٤٣-ص٤٤٤ ، دمشق : المكتب الإسلامي ١٩٦٤م ، ط٣ ، بيروت : المكتب الإسلامي ١٩٨٤م .

(٢٠) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ص١٠٢-ص ١٠٣. وارجع إلى زاد المسير ج٣ ص٤٤٤ ، فقد ذكر هذا القول محقق الزاد وقال : «فهذا هو المعنى المراد من الآية ، وليس فيها إلاّ أن الشيطان يلقي عند تلاوة النبي للقرآن ما يفتن به الذين في قلوبهم مرض . . .» ، ثم حذر من الإسرائيليات .

(٢١) البقاعي ، برهان الدين : نظم الدرر في تناسق الآيات والسور ، ج٥ ص١٦٣-ص١٦٤ ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

(٢٢) الشوكاني : فتح القدير ، ج٥ ص٤٦١-ص٤٦٣ . وزبدة التفسير ، ص٤٤١ . ومثله صديق خان : فتح البيان ، ج٩ ص٦٨-ص٦٩ . وتنوير الأذهان ، ج٣ ص٢٠-٢١ . ونقل الجمل أغلب هذه الأقوال وفصّل ودافع عن القصة متبنياً وجهة نظر ابن حجر ، راجع الفتوحات الإلهية : حاشية الجمل ، ج٣ ص١٧٤-ص١٧٥ . وارجع إلى تفسير الجلالين ، ص٤٤٧ . وارجع إلى ابن جزي في التسهيل ، ج٣ ص٤٤ ، حيث قال : والقول الأول أرجح (أن الشيطان قال) والثاني أشهر (أي أن النبي قال !!) . وارجع إلى البيضاوي ، ص٤٤٧ .

(٢٣) البروسوي ، إسماعيل حقي : روح البيان ، ج١٧ ص٤٩ . ودار إحياء التراث العربي ، بيروت . ويضع الماوردي في النكت والعيون أربعة احتمالات ذكرها أهل التأويل لإلقاء الشيطان : ١- أنه إلقاء الشيطان على لسانه ساهياً . ٢- أنه قرأه ناعساً . ٣- أن بعض المنافقين تلاه!! تأمل! . ٤- أن الغرانيق قصد بها الملائكة . وهل رأيت : إنه لم يذكر مرة واحدة -حتى هذا!- أن الشيطان مباشرة هو الذي قال؟! مع أننا نرفض كل هذا . ارجع إلى الماوردي ، ج٤ ص٣٢-ص٣٥ .

(٢٤) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنام ، ج٣ ص٣٠١ ط٢ ، بيروت : عالم الكتب ، سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .

(٢٥) الطباطبائي ، محمد حسين : الميزان ، ج١٤ ص٣٩٠-ص٣٩٣ ، بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

(٢٦) المراغي ، أحمد مصطفى : تفسير المراغي ، ج٧ ص١٢٨-ص١٣١ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، بلا تاريخ .

(٢٧) مخلوف، حسنين محمد: صفوة البيان، ص٤٣١. عدة طبعات: ط٣، الكويت: وزارة الأوقاف ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، والقاهرة: دار الكتاب العربي ١٩٥٧م، وبيروت: دار الفكر ١٩٧٠م.

(٢٨) دروزة، محمد عزة: التفسير الحديث، ج٧ ص١١٢-ص١١٤، بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

(٢٩) ابن القيم: إغاثة اللهفان، ج١ ص٩٣.

(٣٠) الألباني، الشيخ محمد ناصر الدين: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، ص٣-ص٤، ط١ دمشق: المكتب الإسلامي ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م.

(٣١) وجدت الشيخ نسيب الرفاعي -رحمه الله- ينحو منحى يحاول أن يخرج من هذه الربقة، لكنه لم يخرج من حدود معنى: يحدث، فقد قال: إن كل نبي قبلك تمنى ما تمنيت من إيمان قومك... فيلقي الشيطان ما ألقى مع حديثك إليهم حديثاً منه غير حديثك وهم لا يعلمون، فيوافقونك لا على ما تقول أنت إنما على ما سمعوه من الشيطان فهذه الموافقة تظنها أنت أيضاً مطابقة لما قلت فتحصل أمنيتك التي تمنيت... كسجودهم... الخ. ارجع إلى: تفسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ج٣ ص٢١٨-ص٢٢٠، الرياض: مكتبة المعارف ١٤١٠هـ-١٩٨٩م. والأفضل ما قيل -أي ما قلنا- والله أعلم.

(٣٢) أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج٣ ص٤٨٧-ص٤٨٨ ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م بلا دار نشر ولا مكان.

(٣٣) الزحيلي، د. محمد وهبة: التفسير المنير، ج١٧ ص٢٤٥، ط١: دار الفكر دمشق، ودار الفكر المعاصر بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٣٤) الزمخشري: الكشاف، ج٣ ص١٨، بيروت: دار المعرفة ١٩٧٠م.

(٣٥) تفسير الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج٥ ص٢٢-ص٢٤، والبغوي في معالم التنزيل مطابق لما عند الخازن إذ الخازن يأخذ عنه. وانظر الواحدي في الوسيط، ط١، ج٣ ص٢٧٦-٢٧٧، بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٤م.

(٣٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٣ ص٢٢٩-ص ٢٣٠. وارجع إلى مختصر ابن كثير، ج٢ ص٥٥٠-ص ٥٥١. اختصار الصابوني ط٧، بيروت: ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.

(٣٧) العلامة النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسن القمي: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج٥ ص٩٠-٩١ ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

(٣٨) الطبرسي: مجمع البيان، ج٧ ص١٤٤-ص١٤٥، ط١ بيروت: دار المعرفة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٣٩) القاسمي، جمال الدين: محاسن التأويل، مجلد ٥ ج١٢ ص٢٠٧ ط١، بيروت: دار إحياء التراث ١٤١٥هـ-١٩٩٤م. وقال في الهامش يوثق قول ابن تيمية: في شرح دعوة ذي النون، (أي قاله ثَم)، كذا في هامش جامع البيان، صحيفة ٢٩٥.

(٤٠) محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٥ ص٧٣٧-ص٧٣٨، بيروت: عالم الكتب.

(٤١) الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن : التبيان ، ج٧ ص٣٣٠-ص٣٣١ ، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، النجف : مكتبة ومطبعة الأمين ١٣٨١هـ-١٩٦١م .

(٤٢) أبو السعود ، محمد العمادي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج٦ ص١١٣-ص١١٤ ، بيروت : دار إحياء التراث . وقريب من هذا ما عند الواحدي في الوجيز والوسيط . الوجيز ، ط١ ، ج٢ ، ص٧٣٧-ص٧٣٨ ، الدار الشامية ودار القلم ١٩٩٥م . الوسيط ، ط١ ، ج٣ ، ص٢٧٦-٢٧٧ ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٩٤م .

(٤٣) النهر الماد من البحر لأبي حيان ، ج١ قسم ١ ، ص٥٠٤ ، دار الجنان ، لبنان ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م . والبحر المحيط ، ط١ ، ج٦ ، ص٣٥٢ ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

(٤٤) فخر الدين الرازي : التفسير الكبير ، ج٢٣ ، ص٤٩-ص ٥٤ .

(٤٥) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، ج١٧ ، ص٢٩٧-ص ٣٠٠ .

(٤٦) محاسن التأويل للقاسمي ، ط١ ، ج١٢ ، ص٢١٠-ص٢١٣ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .

(٤٧) طنطاوي جوهري : تفسير الجواهر ، ط٢ ، ج١١ ، ص٤٨-ص٤٩ ، القاهرة : مصطفى الحلبي .

(٤٨) الموصلي ، رشيد الخطيب : تفسير القرآن العظيم المسمى : أولى ما قيل في آيات التنزيل ، ج٦ ص١٣٧-ص١٣٨ ، جامعة الموصل ، ودار الكتب للطباعة والنشر بالموصل ، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م .

(٤٩) مغنية ، محمد جواد : التفسير الكاشف ، ج٥ ص٣٩-ص٤١ ، بيروت : دار العلم للملايين .

(٥٠) الخطيب : التفسير القرآني ، ط١ ، ج١٧ ، ص١٠٦٣-ص١٠٦٥ ، القاهرة : دار الكتاب العربي ، بلا تاريخ .

(٥١) شوقي ضيف : الوجيز في تفسير القرآن الكريم ، ط١ ، ص٥٥٧ ، القاهرة : دار المعارف ١٩٩٤م . وقريب منه سيد طنطاوي في الوسيط : ما يلقيه في معناها من أكاذيب ، ط٣ ، ج٩ ، ص٨١-ص٨٥ ، القاهرة : دار الرسالة ١٩٨٥م . وط المعارف ١٩٩٠م .

(٥٢) حوى ، سعيد : الأساس في التفسير مجلد ٧ ص٣٥٩٧ ، القاهرة : دار السلام ط١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

(٥٣) يرجع في الرواية وسردها ونقدها سنداً ومتناً إلى : نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق للألباني ، ص١٤-ص٣٤ . ونسيب الرفاعي : اختصار تفسير ابن كثير ، ج٣ ص٢١٨-ص٢٢٠ . والخازن ، ج٥ ص٢٤ . والجواهر ، ج١١ ص٤٧-ص٤٨ . وحاشية الشهاب على البيضاوي ، ج٦ ص٥٣١-ص٥٣٤ . وأحكام القرآن لابن العربي ، ج٣ ص٣٠٣-ص٣٠٧ . وزاد المسير ، ج٥ ص٤٤٤ . والفتاوى لابن تيمية ، ج٢ ص٤٢-ص٤٣ ؛ ص٣٣٢-ص٣٣٣ . والنبوات ، ص٢٨٠ . والشنقيطي في أضواء البيان ، ج٥ ص٧٢٩-ص٧٣٠ . ومرويات الإمام أحمد في التفسير ، ج٤ ص١٧١ . ومسلم ، حديث ٥٧٧ . والنسائي ، ج٢ ص١٦٠ . والبخاري ، ج٢ ص٣٦٠-ص٣٦١ . ودقائق التفسير ، ج١ ص٥٨ . وميزان الاعتدال ، ج٣ ص٥٥٦-ص٥٥٩ . ودلائل النبوة للبيهقي ، ج٢ ص٢٨٧-ص٢٩١ . ومجمع البيان ،

ج١ ص١٤٥ . والأساس في التفسير لسعيد حوى ، ج٧ ص٣٥٩٦ . والتفسير المنير للزحيلي ، ج١٧ ص٢٤٥ . والبحر المحيط ، ج٦ ص٣٥٢ . والإسرائيليات للذهبي ، ص٢٠ . ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص١٤ . والناسخ والمنسوخ للنحاس ، ج٢ ص٥٢٩-٥٣١ . والقرطبي ، ج١٢ ص٨٠ ص٨١ . وابن كثير ، ج٥ ص٤٣٩ . وبحر العلوم للسمرقندي ، ج٣ ص٤٠٠ . وفتح القدير للشوكاني ، ج٥ ص٤٦٣ . ومختصر السيرة ج٢ ص٥٥٠ . وتفسير الرازي ، ج٢٣ ص٥٠-ص٥١ . والقاسمي ، ج١٢ ص٢٠٨-ص٢٠٩ . وابن حزم في الفصل ، ج٣ ص٢٣ . والدر المنثور ، ح٤ ص٣٦٦-ص٣٦٨ . وابن أبي حاتم في تفسيره ، ج٨ ص٢٥٠٠-ص٢٥٠٣ . والشفا لعياض ، ج٢ ص٢١٩ . وحياة محمد لهيكل ، ص١٦٠-ص١٦٧ . ومعجم القراءات القرآنية لمكرم ، ج٤ ص١٩١ . والبحراني في البرهان ، ج٣ ص١٠٠-ص١٠١ . وفتح الباري ، ج٨ ص٤٣٨-ص٤٤٠ . والفائق للزمخشري ، ج٣ ص٢٥ . وأيسر التفاسير للجزائري ، ج٣ ص٤٨٨ . وتفسير الطبري ، ج١٧ ص١٨٦-ص١٩١ . والتقريب للنووي ، ج١ ص٢٠٨ . والتقييد والإيضاح ، ص٧٠-ص٨٣ . والباعث ، ص٤٦-ص٥١ . وفتح المغيث ، ج١ ص١٠٥-ص١٠٦ . والكاشف ، ج٣ ص١٨ . وأسباب النزول للسيوطي ، ص١٧٧-ص١٧٨ . وأسباب النزول للواحدي ، ص١٧٧ . والنسفي ، ج٣ ص١٠٦ . و ... الخ .

(٥٤) عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ : الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق ، ص١١ ، ط١ ، القاهرة : دار المعارف ١٩٧١م .

(٥٥) الشافعي ، د . حسين : قاموس الألفاظ القرآنية ، ص٢٩٧ ، القاهرة : دار الشعب ١٩٩٣م . وارجع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص ٦٧٧. وإلى معجم الألفاظ القرآنية ، ج٢ ، ص ١٠٦١ .

(٥٦) إذا اعتبرنا الحج مكية . وإلاّ فهي ٢ :١٤ .

(٥٧) المنار ، ج١ ، ص٣٥٩ . وقال الأستاذ الدكتور أحمد علي الأمام في مفاتح فهم القرآن ص١١ : «لا يعلمون فقه الكتاب إنما يقتصرون على ما يسمعونه من لفظيات صوتية لا يصحبها فقه ولا علم ولا عمل» ، الخرطوم : جامعة القرآن الكريم ١٩٩٧م ، مصفوف كمبيوتر .

(٥٨) المنار ، ج١ ، ص٣٨٩ ، ط بيروت .

(٥٩) المنار ، ج١ ، ص٤٢٤-ص٤٢٥ .

(٦٠) المنار ، ج٥ ، ص٤٢٧ ، ص٤٣٠ ، ص٣٤٩ ، ط القاهرة . وكذلك قال عند قوله تعالى : ﴿ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب﴾ النساء : ١٢٣ ، ارجع إلى ج٥ ، ص٤٤٣-ص٤٤٤ .

(٦١) المنار ، ج٥ ، ص٤٨ ، ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣م .

(٦٢) التفسير القرآني ، ج١٧ ، ص١٠٦٠-ص١٠٦١ . وما ذكره الخطيب رحمه الله قريب مما ذكره محمد عبده ونقله عنه القاسمي ، فلعل الخطيب استفاد منه ونقل عنه ، والعلم ميراث وتراث .

(٦٣) التفسير القرآني ، ط١ ، ج١٧ ، ص١٠٦٦-ص١٠٦٧ ، القاهرة : دار الكتاب العربي ، بلا تاريخ .

(٦٤) التحرير والتنوير ، ج١٧ ، ص٢٩٧ .

(٦٥) الجزائري : أيسر التفاسير ، ج٣ ، ص٤٨٧-ص٤٨٨ . والجمل كرر ذات العبارة ، وغيره كثير .

(٦٦) التفسير الحديث ، ج٧ ، ص١١٢-ص١١٤ .

(٦٧) أحمد المراغي : تفسير المراغي ، ج١٧ ، ص١٢٨-ص١٢٩ .

(٦٨) لعل من أوضح الأمثلة سورة عبس ، ولعل صاحب الظلال يدندن من حولها ، والله أعلم . والمثل جد جميل ، كما أرى -بل هو قد ذكره فيما بعد- وأبقيت ملاحظتي كما هي .

(٦٩) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٦٠٨-ص٦١٤ ، ط٥ بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م .

(٧٠) في هذا بحث قيد الأعداد ، أعان الله على إتمامه .

(٧١) هذا موضوع بحث آخر ، يعين الله على إتمامه إن شاء .

(٧٢) ما أجمل في هذا السياق قوله تعالى : ﴿ولا كتاب منير﴾ فلا يعقل أن تكون تلك الترهات التي يجادل بها المجرمون ويسفسط بها المسفسطون من الكتاب المنير ... فتأمل!

(٧٣) في هذا بحمد الله بحث ثالث ، وله الحمد والمنة .

(٧٤) ارجع في تفصيل هذا إلى : كن كابن آدم لجودت سعيد ، ص٨٤-ص٨٥ ، ص١٠٠ ، ص١٠٣-ص١٠٤ ، ص١٣٠ ، ص١٦٢ ، ص٢٧٧ ، وسماه قانون الزبد .

(٧٥) ما أجمل ما قال الآلوسي : «القول بأن هذا الخبر مما ألقاه الشيطان على بعض ألسنة الرواة ثم وفّق الله جمعاً من خاصته لإبطاله أهون من القول بأن حديث الغرانيق مما ألقاه الشيطان على لسان الرسول ثم نسخه سبحانه» ، روح المعاني ، ج١٧ ، ص١٧٥-ص ١٨٦ وقال في عمدة القاري بعد أن ذكر أن النظر والعرف يحيلان ما قال : «ولو وقع لارتد كثير ممن أسلم ولم يُنقل ذلك ...» ، ج١٩ ، ص٦٦ ، الشركة الصحافية العثمانية ١٨٩٠م .

(٧٦) تعبير ابن عربي : «ألقى الشيطان في وعاء أمنيته ما يناسبها ...» ، ج٢ ، ص١١٠ ، تحقيق : د . مصطفى غالب ، ط٣ ، بيروت : دار الأندلس ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

(٧٧) ارجع إن شئت إلى قوله تعالى : ﴿وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون﴾ الشعراء :٢١٠-٢١١ ، ﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ فصلت : ٤١-٤٢ ، ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه ...﴾ البقرة : ٢ ، ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه﴾ السجدة : ٢ ، ﴿ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق﴾ البقرة : ١٧٦ ، ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ الإسراء : ١٠٥ ، فهو محفوف بالحق من مبدئه إلى منتهاه لا يقبل الالتباس بالباطل . ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلاً لا مبدل لكلماته ...﴾ الأنعام : ١١٥ ، ﴿أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا﴾ الكهف : ١ ، ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ الإنسان : ٢٣ ، ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر : ٩ ، ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله﴾ يونس : ٣٧... وغيرها .

(٧٨) قال ابن القيم : «ولهذا جعل سبحانه إحكام آياته في مقابلة ما يلقي الشيطان بازاء الآيات المحكمات في مقابلة المتشابهات . فالإحكام ههنا بمنزلة إنزال المحكمات هناك ، ونسخ ما يلقي الشيطان هاهنا في

مقابلة رد المتشابه إلى المحكم هناك . والنسخ هاهنا رفع ما ألقاه الشيطان ، لا رفع ما شرعه الرب سبحانه ...» ، بدائع التفسير ، جمعه : يسري السيد محمد ، ج٣ ، ص٢١٦-ص ٢١٩. وقال الواحدي : «فينسخ الله ... : يبينها حتى لا يجد أحد سبيلاً إلى إبطالها» ، الوجيز ، ج٢ ، ص٧٣٨ .

(٧٩) وكما يقول البيهقي بعد كلام جميل في تفنيد القصة يشير إلى صدق الرسول وعدم تصور أن يمدح آلهتهم بعد عشر سنين من ذمها يقول : وأعجب ما في جرأة هؤلاء المفترين أنهم عرضوا للافتراء في أم مسائل الإسلام جميعا : في التوحيد!! ... الخ» ، الدلائل ، ج٢ ، ص٢٨٧ . والشيخ نسيب الرفاعي يفند هذه الروايات بكلام جميل أيضا مختصره : عصمة الرسول ، وتصوير القصة لتسلط الشيطان عليه مما يناقض العصمة في أعظم ما تجب فيه وهو الوحي ، ثم إن سياق «النجم» لا يحتمل مسألة الغرانيق . ثم ثالثا إن الغرانيق لم ترد في نظم شعراء العرب ولا في خطبهم أنها وصف لآلهتهم (قاله محمد عبده) ، ثم رابعا إن الرسول بعث لتحطيم الآلهة (المدعاة) لا لتمجيدها ... الخ ، اختصار ابن كثير ، ج٣ ، ص٢١٨-ص٢٢٠ ، الرياض : مكتبة المعارف ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .